ÉTUDE BIBLIOGRAPHIQUE

SUR LES

موسوعات العلوم العربية

ENCYCLOPÉDIES ARABES

وبحث على

(رسائل اخوان الصفاء)

تأليف

أحمد زكى

مترجم مجلس النظار

ومترجم شرف الجمعية الجغرافية الخديوية

والتزم طبعه حضرة محمود افندى أنيس

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الاميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣٠٨

هجرية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمدك اللهم على ما افضت من الحكم البدائع ونصلى ونسلم على سيدنا محمد الذى آتيته الكلم الجوامع وعلى آله وأصحابه وكل تابع

(وبعد) فهذه رسالة صغيرة ضمنتها خلاصة أبحاث غزيرة وأتعاب كثيرة وصلت فى سبيل الوصول الى وصالها سواد الليل ببياض النهار وأكثرت من مساءلة العلماء وامعان النظر ومراجعة الاسفار حتى فتح الله علىّ بشىء مما طلبته ووفقنى بمنه وكرمه الى تحقيق بعض ما أملته فاودعته هذه العجالة وقدمتها الى أهل الفضل والنبالة بعد ان ترددت طويلا بين

الاقدام

الاقدام والاحجام لعلى باضحلال عروة الوئام بين الانام فى هذه الايام وأن موقف التصنيف تزل فيه الأقدام ولا يصيب صاحبه الا سهام الملام وكِلام الكلام ولكننى غلبت على هذه الافكار وأبيت الا الركوب فى تيار هذه البحار اقتداء بمن سلكها من الاول (وكل من سار على الدرب وصل)

ومما حدانى على ذلك ان البحث الذى اخترته جديد فى لغتنا ولم يلتفت اليه أبناء عصرنا (١) مع ان الافرنج وفوه حقه من الاعتبار وأفردوا فى تأليفه الكتب الكبار بل انهم ركبوا له اسما يطابق معناه ويميزه عن كل فن سواه أعنى البيليوغرافيا فهى كلمة مركبة من لفظين يونانيين وهما بيليون أى كتاب وغرافيا اى الوصف والمعنى المقصود من اللفظ المركب وصف الكتب والذى أراه فى تسميته بالعربية ان يقال علم الكتب وهو علم يبحث فيه عن المؤلفات ووصفها والكلام عليها وترتيبها والمعتبر فيه انما هو ثلاثة أمور أصلية ترتيب الكتب ثم وصفها ثم استعمال المعجمات (القواميس) الكُتبية

---

(١) فلم أعثر بعد طول المطالعة والبحث على شئ من هذا القبيل سوى ان صاحب كتاب اللمعة فى أصول اللغة عقد فيه فصلا ضمنه أسماء الكتب المدونة فى اللغة مرتبة على حروف المعجم استقرأه من كشف الظنون وزد عليها بعض الكتب التى تم تأليفها بعد الكشف وأورد فيها أيضا أسماء الكتب الفارسية والهندية المختصة باللغة

ككشف الظنون مثلا * وفائدة هذا العلم ظاهرة ولكنه لم ينتشر بكيفية كافية فلم تكثر فيه التآليف ولم يقع من علمائنا كبير اهتمام به حتى كانوا ينيلونه قسطه من الكمال وحظه من الاستيفاء شأنهم في كل فن جدوا فيه واهتموا به ولكن القوم فتحوا بابه بمثل كتاب الفهرست والقصيدة اليائية وكشف الظنون التي سيكون لنا عليها قول بعد فوجب شكرهم

وقد وصل الينا هكذا غير مستوف فتعين علينا نحن أبناء هذا العصر أن ننشط الى استيفائه واكماله والا دعينا مقصرين في اتمام عمل شرع فيه الاوائل منا على كثرة فوائده وشرف غايته أو قاصرين عن الاعمال اوجاهلين بمزايا هذا الفن وكلها خطط مرذولة فقد كتبت هذه الرسالة فتحا لباب الاستيفاء ودعوة للخواطر الى الجرى وراء هذه الغاية فانه بلغ من اهتمام الافرنج به ان في بلادهم جرائد خاصة بالكتب والمطبوعات واوفر حظ ناله هذا الفن هو في بلاد الانكليز فالمانيا ففرنسا ورجاؤنا أن يصبح عندنا قريبا وقد نال بعض نصيبه من الكمال ان شاء الله تعالى بمنه وكرمه

المقـــدمة

مضى على العـرب زمان جاهليتهـم وهـم يتخبطون فى بوادى الجهالة و يهيمون فى فيافى الغواية حتى جاءهـم حين من الدهر هبوا فيه من غفلتهم واستيقظوا من غفوتهـم فجاروا الامم فى ميـدان الحضارة فسـبقوهم وباروا الشـعوب فى مضمار التقدم ففضـلوهم ثم وردوا حياض المعارف على ظمأ فنهلوا منها وعلوا ودخلوا الفنون من أبوابهـا فكان لهـم منها الحظ الاكبر والنصيب الاوفر

وقد حفظوا معارفهـم فى الصـدور والسـطور لانهـم علموا لزوم بقائها للخلف فقيدوا ماوصلت اليـه مداركهم الساميـة بعـد البحث والاجتهاد فى بطون الاوراق لتكون دليـلا على المزايا الجليلة التى تحـلوا بهـا والاذهـان الرائقة التى أودعها فيهـم البـارى جـل وعـلا وانهـم وايم الحق عنوان الشرف ونموذج (١) الاجتهـاد بل هم مثـال البلوغ الى الغـايات الذى ينبغى على جميـع الامم الاقتداء به ليتسنموا غارب المجد و يمتطوا صهوة الفخار و يكون لهم فى الوجود شان يذكر

لذلك اجتهـد الافرنج بعد ان نقلوا العـلوم عن العرب فى فتح المدارس الفخيمة لتعليم لغـات الشرق والتخريج فى معـارفه

---

(١) النموذج بالفتح المثال والانموذج لحن كما فى القاموس

بل انهم بذلوا جهدهم ومالهم فى عقد المؤتمرات الدَّوْلية التى ينسِلُ اليها العلماء من كل حدَب للمباحثة والجادلة فى علوم اهل الشرق ومعارفهم التى أضاءت العالم بنورها الباهر

هذا ولم يهمل العرب صغيرة ولا كبيرة من أنواع العرفان الا اقتنصوا شواردها وقيدوا أوابدها حتى إنك لترى اهم الرسائل الطائلة فى المواضيع التى قلما يخطر بالبال أنهم طرقوها وكل ذلك بقى لنا أثرا بعد عين بل قد عدمنا أسماء كثير من مؤلفاتهم التى أنبأنا التاريخ بانها أغرقت فى بغداد أواحرقت فى اندلس على إثر دخول هلاكو فى الاولى واسترجاع الاسپانيول للثانية فكان فى ذلك هدم جزء عظيم من هيكل المعارف الذى شاده العرب فى زمان عظيم على أساس قويم

ولقد توالت النكبات على مؤلفات العرب حتى كادت تذهب سدى أو يتولاها الضياع فحسبنا الله ونعم الوكيل

ومن جملة المباحث المهمة التى تفرغ لها المسلمون مايعرف عندنا فى هذه الايام بالانسيكلوپيذيا أو الانسكلوپديا (Encyclopédie) فان كثيرا من المتطفلين على المعارف الذين لاخلاق لهم يضعون منهم فى كونهم لم يؤلفوا فيها شيأ مستدلين على ذلك بانه لااسم موضوعا لها عندهم وهو من المجازفات التى لاينهض عليها برهان سوى جهل قائلها وعدم اطلاعه أوضغينة وسوء نية فى قلبه فان من مارس كتب القوم رأى

انهم

أنهم لم يهملوها ووضعوا لها اللفظ الذى اخترته عنوانا لهذه الرسالة الصغيرة التى ألفتها بعد طول البحث والتنقير وأودعتها بعض أسماء هذه الكتب مشفوعة بشرح خفيف أو نقد لطيف فان غرضى انما هو الاعلام بها والتنبيه عليها بوجه الايجاز حتى يعلم القوم انه كان فى الزوايا خبايا وفى السويداء رجال ولا يجهل علينا متعصب أوذو حاجة فى النفس والله محيط بما تكنه الصدور وهو أحكم الحاكمين

وصل

فى تعريب لفظ انسكلوبيديا

(Encyclopédie)

ما زال المترجمون حائرين الى الآن فى نقل هذا اللفظ من العجمة وإلباسه ثوبا من العروبة يليق به ويدل على معناه ولذلك تراهم مختلفين الى فرق شتى فى التعبير عنه فمنهم من نطق باللفظ الافرنجى كما هو ورسمه بحروف عربية فقالوا انسكلوبيديا أوانسيكلوبيذيا ولا يخلو هذا اللفظ من القصور وفيه من النفور ما تمجه الآذان و يلفظه أهل هذا اللسان وقد اصطلحت الكتبخانه الخديوية على تسميته بـ(الحاوى) ولكنه لم يتجاوز حيطانها ولم ينل من الشيوع ما ناله الاول على انه مع ما فيه من بعض الملاءمة والموافقة لايخلو من التشويش

ولذلك اختار الطبيب الذكر بطرس البستانى ان يحلل اللفظ الافرنجى الشائع ويترجم الكلمات اليونانية المركبة له وذلك أن انسكلوبيديا مركبة من «أن = en» ومعناها (فى) ومن «كوكاوس = kuklos» ومعناها (دائرة) ومن «بيديا = paidia» ومعناها (التعليم) وهذا مابعثه على تسمية كتابه المشهور بـ(دائرة المعارف) وهو استخراج بديع ولكنه صار علمًا على هذا الكتاب ويكاد أن يتعذر اطلاقه على أمثاله وقد رأيت فى مجلة الطبيب التى كان عديدَ (١) محرريها اللغوىُّ المدقق ابراهيم اليازجى فصلا مفيدا جدا عنوانه *(بسط وايضاح)* مدرج فى الجزء السابع عشر الصادر بتاريخ ١٥ نوفبر سنة ١٨٨٤ قال فى عُرضه مانصه : قال فى موسوعات العلوم (الانسكلوبيديا) الامريكانية الخ ثم أورد فى الحاشية عبارة على موسوعات العلوم وهذا نصها (هو العنوان الذى أطلقه الملا أحمد بن مصطفى على هذا الجنس من التأليف فى كتابه مفتاح السعادة ومصباح السيادة والمراد بموسوعات العلوم مشتملاتها وما وسع كل منها (٢) ويقال فى جمعه كتب موسوعات العلوم) اه

(١) يقال فلان عديد بنى فلان أى يعد فيهم كما فى الصحاح

(٢) لعل المراد على ما أرى العلوم الموسوعات من اضافة الصفة الى الموصوف لانها هى الموسوعة فى الكتاب الواسع لها

كلام

كلام الطبيب وهو من الفائدة بمكان عظيم فان كل من اطلع على هذه الجريدة المفيدة علم مكانتها من تحرير الالفاظ العربية الفصحى وتنقيرها على الشوارد التى لها أصول فى متن اللغة ووافق كثيرا من الكلمات الافرنجية التى شاعت فى هذا الزمان بسبب جهل النقلة الى هذا اللسان

هذا وقد يمكن التعبير عن امثال هذه الكتب بجامع العلوم أو كتاب موضوعات العلوم كما اصطلح عليه صاحب كشف الظنون والله الهادى الى السداد وهو ولى التوفيق والرشاد

.....

وصل

فى ماهية كتب موسوعات العلوم

ان الاسم الافرنجى الذى يدل على هذا النوع من الكتب قديم جدا وقد استعمله الاديب اللاتينى كونتليانوس الذى توفى سنة ١٢٠ للميلاد وان كان المسمى حديثا فى عالم التأليف والظهور وكان هذا الاسم (Encyclopédie) يدل عند اليونان والرومان على مجموع المعارف التى يجب أن يتحلى بها كل انسان

ويقال ان أول كتاب فى هذا المعنى كان للفيلسوف لوسيبيد استاذ ديمقريط أو لديمقريط هذا وقد أحاط ارسطاطاليس

بجميع العلوم التى كانت فى عصره من الٰهى ورياضى وطبيعى وسياسى

وقد ألف القدماء من اليونان والرومان كتبا تشبه ان تكون جوامع للعلوم ولكنها كلها خِلو من الطريقة المتبعة فى كتب الموسوعات الجديدة التى تمتاز بضم أشتات الفنون وترتيب العلوم وربطها وأمثال ذلك من الخواص الاصلية فى كتب هذه الايام وأول من حاول هذا الترتيب الجديد فى القرون الوسطى أبو نصر الفارابي من أول فلاسفة الاسلام وسيأتى الكلام عليه وقد اقتفاه من الافرنج بوفى الذى ولد فى سنة ١١٩٠ مسيحية بالتقريب ومات فى سنة ١٢٦٤ فانه ألف كتابا فى ثلاثة مجلدات نال من الشهرة و بُعد الصيت ما لم ينله سواه حتى ان النسخ التى بقيت منه بخط اليد تفوق الحصر والعد

ثم جاء الفيلسوف فرنسوابا كون فوضع قواعد ترتيب العلوم على هذا الوجه المعلوم وبهذا يمكن اعتباره أول من ألف فى الموسوعات عند الافرنج ولم يقتد به أهل عصره ولا خالفه فى شرح المبادئ التى وضع قواعدها حتى جاء العلامتان دالمبرت وديدرو وغيرهما من جهابذة فرنسا فألفوا كتابهم المعروف بـ(الانسكلوبيديا أى المعجم البيانى للعلوم والفنون والصنائع) وكان ديدرو أكبر الساعين فى اتمامه فانه وقف حياته عليه فكان يكتب فى الفنون

المختلفة والتاريخ والفلسفة والصناعة والزراعة بل كان كثيرا ما يمضي أياما طوالا فى الورش والمعامل يتقلب بين الصناع وأرباب الحرف ليكون على بينة فيما يكتب ورَشَد فيما يقول وليصف لاهل عصره أسرار الصناعة عن تدقيق وتحقيق

ولكن هذا الكتاب صادف من العقبات ما كان موجبا لمنعه عن اتمام نفعه فكان الملوك يحرمون نشره ومنتشو البوليس يقتصون أثره ومدير عموم البوليس (الشِحنة) يستقصى خَبره وخُبره ومجلس البرلمان يعارض فى طبعه والقسيسون ينهون الامة عن الاطلاع عليه حتى انه كان تارة محرما وتارة محللا وطورا مسموحا به وآونة منهيا عنه

وقد أوضح العلامة دالمبرت فى مقدمة هذا الكتاب الفرق بين القاموس (المعجم) وكتاب الموسوعات فقال ان المعاجم سواء كانت عمومية أو خصوصية انما غايتها التعريف بعدد عظيم من المواد العلمية لجم غفير من القراء الذين هم كل يوم فى ازدياد ونماء

واما موسوعات العلوم فغايتها أسمى وأسنى لانها تتكفل ببيان العلاقة بين هذه المواد العلمية المتنوعة وتمزج المعلومات البشرية المختلفة مع بعضها بجامعة المشابهة والمناسبة الطبيعية ثم تحصرها وتحصيها وتقسمها الى أقسام من حيث الجنس والنوع

والفصل حتى تكون شاملة لما يخطر بالبال ويدخل في حيز الاعمال في كل حال

ومما ينبغي للمؤلف في الموسوعات مراعاته ان يقابل بين هذه الافكار وهذه الاعمال فتتولد عنده مسئلة ترتيب الامور الخصوصية والامور العمومية المعروفة بالنواميس الطبيعية وهي التي يعبرون عنها بمسئلة تقاسيم العلوم (١)

وليس من غرضي ان أتعرض هنا لشرح هذه المسئلة فانها تستغرق فصلا طويلا فضلا عن كونها تخرج عن موضوع هذه المجالة وللعلماء فيها أقوال مختلفة المبنى متفقة المعنى وفوق كل ذي علم عليم

فصل

في الموسوعات العامة

أستعين بالعليم العلام وجهابذة العلماء الاعلام فأميط اللثام

---

(١) ممن كتب فيها عندنا الرئيس أبو علي بن سينا في رسالته التي تكلم عليها وكذلك الفيلسوف أبو زيد أحمد بن زيد القعاني فان له كتابا سماه أقسام العلوم قال في حقه ابو زير عيسى بن علي بن عيسى كما في مقابسات ابي حيان التوحيدي ما نصه (انك لو تتبعت مراتبه اى هذا الكتاب فانك حينئذ تجد علما فوق علم بالموضوع أو بالصورة وعلما دون علم بالفائدة والثمرة) وممن ألف فيها عند الافرنج دالمبرت وأمبير وأغوست كونت وهربرت سبنسر الفيلسوف العصري وغيرهم

فى هـذا المقـام عن المؤلفات التى وضعها فضـلاء الاسـلام فى موسوعات العلوم (اعنى الانسكلوبيذيات العربية) وتحروا فيها ترتيب المعارف على نمط نظامى موافق للارتباط المنطق بين المواضيع فأول من عُنى بذلك أبو نصر الفارابى فى كتابه المسمى احصاء العلوم وترتيبها وهو كتاب جليل للغاية قال فيه ابن صاعد القرطبى فى طبقات الاطباء « وله (اى الفارابى) كتاب شريف فى احصاء العلوم والتعريف باغراضها لم يسبق اليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه ولا تستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به(١) » اقول ولا يوجد من هذا الكتاب على ما أعلم سوى نسخة واحدة بخط اليد فى كتبخانة قصر الاسكوريال بمدينة مدريد عاصمة بلاد اسبانيا ولابد أنها من بقايا عرب الاندلس هذا ولم يذكره صاحب كشف الظنون ولعل السبب فى ذلك ندرته فانه أعز من الكبريت الاحمر ولكنه ذكر كتابا سماه (آراء المدينة الفاضلة) وقال انه لابى نصر محمد الفارابى المتوفى سنة ٣٣٩ ذكره فى موضوعات العلوم اه اقول انى تحققت الاسم الذى نصصت عليه فى ضمن أسماء كتب الفارابى المذكور فى آخر ترجمته فى كتاب طبقات الاطباء وغيره توفى الفارابى فى سنة ٣٣٩ هجرية وبعد ذلك ظهر كتاب وصف العلوم وأنواعها فى ثلاثين

---

(١) وهذا الكلام منقول بالحرف فى تراجم الحكماء وفى مفتاح السعادة وعيون الانباء وغيرها

جزأ لابى حاتم محمد بن حبان البستى المتوفى سنة ٣٥٤ ولهذا الرجل مؤلفات كثيرة ولكنها لم تشتهر كما قال ياقوت ثم ظهرت رسائل اخوان الصفا وسنتكلم عليها فيما بعد ونستطرد الكلام الى ذكر الحكيم المجريطى بفتح الميم

ثم ظهر ابن سينا وهو على مافى دائرة المعارف اول عربى حاول ربط العلوم ربطا انسكلوبيذيا وقد وضع كتابا فى ذلك بحث فيه عن ماهية العلوم وطريقة التعليم وقد شهد له بالبراعة فى ذلك واجزل مديحه المولى طاشكبرى زاده الذى هو اعظم مؤلف انسكلوبيذى شرقى لم يعترف لاحد ممن تقدمه بالفضل عليه اقول ولابد ان تكون تلك الرسالة هى مقالة الشيخ الرئيس فى تقاسيم الحكمة والعلوم فقد نوه بها صاحب مفتاح السعادة فى مقدمة كتابه وأورد منها شيأ كثيرا قال وهذه الرسالة التى نحن بصدد تنقيحها وتهذيبها عظيمة النفع فى هذا الباب والله أعلم بالصواب ثم ان ابن سينا فضلا عن ذلك ألف كتابا حاويا ذكره بقوله (فصنفت كتاب المجموع وأتيت فيه على سائر العلوم سوى الرياضى) وهذا الكتاب يعرف بالحكمة العروضية لكونه صنفه اجابة لالتماس أحد جيرانه المدعو أبا الحسين العروضى

وقال فى الموسوعات الكبرى (الانسكلوبيذيا الكبيرة) الجارى طبعها ونشرها باللغة الفرنساوية ان ابن سينا ألف موسوعات واسعة فى العلوم الفلسفية سماها الشفاء واختصرها فى كتاب

النجاة

النجاة وقد طبع هذا الكتاب الاخير فى سنة ١٥٩٣ بمدينة رومية فى آخر القانون قال وان النسخة العربية الاصلية من كتاب النجاة تحتوى على المنطق والطبيعى وما وراء الطبيعة ولا يوجد فيها الرياضى مع أنه نبه فى المقدمة على أن محله بين الطبيعى وما وراء الطبيعة

وقد اطلعت على هذه النسخة بكتبخانة مطبعة بولاق فرأيتها جميلة الطبع حسنة الصنع وقد قال فى أول كتاب النجاة انه (يشتمل على مالابد من معرفته لمن يؤثر أن يتميز عن العامة وينحاز الى الخاصة ويكون له بالاصول الحكمية احاطة) اه

ومما تقدم يظهر أن القرن الرابع للهجرة كان مظهر الموسوعات (الانسكلوبيذيات) العربية وقد قلت ذلك أيضا بالنسبة الى ابن سينا وان كانت وفاته فى سنة ٤٢٨ لانه ألف المجموع وعمره احدى وعشرون سنة أى ان كتابه ظهر قبل القرن الخامس باربع سنين أوتسع اما الاول فعلى كون ولادته فى سنة ٣٧٥ كما صرح به صاحب عيون الانباء فى طبقات الاطباء وأما الثانى فعلى انه ولد فى سنة ٣٧٠ كما نص عليه ابن خلكان وكثير من المحققين

ولابى المظفر الأبِيوَرْدى الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥٠٧ المترجم فى ابن خلكان كتاب يندرج فى هذا الموضوع وهو كتاب طبقات العلوم كما فى كشف الظنون أو طبقات كل فن كما

فى دائرة المعارف التى جعلت وفاة صاحبه فى سنة ٥٥٧
ثم ظهر كتاب الفنون لابى الوفاء على بن عقيل البغدادى الحنبلى المتوفى سنة ٥١٣ جمع فيه أنواع العلوم فى أربعمائة وسبعين مجلد (٤٧٠) ونقل عن ابن الجوزى ان هذا الكتاب مائتا مجلد قال ووقع لى منه نحو من مائة وخمسين مجلدا ولم يصنف فى الدنيا اكبر من هذا الكتاب وقيل هو أربعمائة مجلد وقال بعضهم ٤٧٠ وبعضهم ثمانمائة (٨٠٠) اه اقول ولابن الجوزى هذا كتاب اسمه المجتبى فى أنواع من العلوم

وبعد ذلك قام الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ وصنف كتاب حدائق الانوار فى حقائق الاسرار أورد فيه موضوعات ستين علما ألفه للسلطان علاء الدين تكش الخوارزمى وهذا الكتاب يعتبر من أقدم الموسوعات العربية المعتبرة

وله كتاب مثل هذا وهو (جامع العلوم) قال صاحب كشف الظنون انه فارسى للامام فخر الدين بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ وهو مجلد متوسط يشتمل على أربعين علما أوله الحمدلله الذى أنشأنا بتصريفه الخ ألفه للسلطان علاء الدين تكش الخوارزمى وهو كتاب مفيد جدا

وللزمخشرى المتوفى سنة ٨٣٦ كتاب اسمه الامالى من كل فن
وظهر بعد ذلك كتاب ارشاد القاصد الى أسنى المقاصد للشيخ

شمس الدين محمد بن ساعد الانصارى الاكفانى السنجارى المتوفى سنة ٧٩٤ وهو مختصر أوله الحمد لله الذى خلق الانسان وفضله الخ ذكر فيه أنواع العلوم وأصنافها وهو مأخذ مفتاح السعادة لطاشكبرى زاده وجملة مافيه ستون علما منها عشرة أصلية سبعة نظرية وهى المنطق والالهى والطبيعى والرياضى باقسامها وثلاثة عملية وهى السياسة والاخلاق وتدبير المنزل وذكر فى جملة العلوم أربعمائة تصنيف

ولما كان غصن الاندلس رطيبا وروض المعارف بها خصيبا ونَوْر الفنون طالعا وثمر العلوم يانعا كان الفضلاء يجتمعون فى مدنها الكبيرة ويتوافدون عليها من أقاصى المعمورة كما يفعله الآن أهل أوروبا من عقد المؤتمرات فى العلوم المشرقية بعمومها وفى الطلب والتخطيط (الجغرافيا) والكهربائية وغيرها وقد كانوا يؤلفون الكتب العظيمة حتى ضاهى الاندلس وحده بلاد المشرق كلها وناهيك بالكتابين الحافلين المعروفين بـ (المُشرق بحلى اهل المَشرق والمُغرب بحلى اهل المَغرب) واليك ماقاله صاحب الكشف عن الاول : المشرق فى محاسن اهل المشرق وهو ستون مجلدا لاحمد بن على بن سعيد القيسى (١) ذكره على

(١) هو القيسى كما فى النسخة المطبوعة ببولاق وصوابه العنسى كما وجدته بالنسخة المطبوعة باوروبا وبنسخة مكتوبة بخط اليدو يؤيد ذلك ان نسخة بولاق ورد فيها هذا الاسم هكذا (العبسى) فى ترجمة المغرب كما ستراه وهو تحريف ظاهر

القارئ فى طبقاته قال أبو الحسن على بن سعيد فى المرقص ان المشرق والمغرب كتابان فى مائة وخمسين سفرا صنفهما جماعة من العلماء فى مائة وخمس عشرة سنة من أهل الاعتناء بالادب خاتمهم مصنف هذا الكتاب وهو ابن سعيد وذكر فيه انه اخذه منهما وجعله كالمقدمة والمدخل اليهما اه . ثم تكلم عن الثانى فقال المغرب فى محاسن حلى اهل المغرب فى نحو خمسة عشر مجلدا لابى الحسن على بن موسى بن سعيد الغرناطى الاندلسى المتوفى سنة ٦٧٣ الفه لمحيى الدين محمد بن محمد الصاحب بن بندى الجزرى وذكر فى مرقصه ان المغرب والمشرق كتابان (ثم أورد العبارة السابقة) قال صاحب الكشف وذكر على القارئ فى طبقاته انه لاحمد بن سعيد العبسى وانه ستون مجلدا وهو وهمٌ

وقد نوه صاحب نفح الطيب بهذا الكتاب كثيرا حيث قال وكتاب أبى محمد عبد الله بن ابراهيم الحجارى المسمى بالمسهب فى فضائل المغرب صنفه بعد الذخيرة والقلائد من أول ما عمرت الاندلس الى عصره خرج فيه عن مقصد الكتابين (اى ذخيرة ابن بسام وقلائد الفتيان) الى ذكر البلاد وخواصها مما يختص بعلم الجغرافيا وخلط التاريخ وتفنن الادب على ما هو مذكور فى غير هذا المكان ولم يصنف فى الاندلس مثل كتابه ولذلك فضله المصنف له عبد الملك بن سعد وذيل

عليه

عليه ثم ذيل على ذلك ابناه احمد ومحمد ثم موسى بن ابن محمد ثم على بن موسى كاتب هذه النسخة ومكمل كتاب فلك الادب المحيط بحلى لسان العرب المحتوى على كتابى المشرق فى حلى المشرق والمغرب فى حلى المغرب فيكفى الاندلس فى هذا الشأن تصنيف هذا الكتاب بين ستة اشخاص فى ١١٥ سنة آخرها ٦٤٥ وقد احتوى على جميع مايذاكر به ويحاضر بحلاه من فنون الادب المختارة على جهد الطاقة فى شرق وغرب على النوع الذى هو مذكور فى غير هذا الموضع اه

وقد عثرت فى الكتبخانة الخديوية العامرة على جزء من هذا الكتاب بخط مغربى واليك صورة الديباجة التى على طرته (السفر الخامس عشر من كتاب المغرب فى حلى المغرب الذى صنفه بالموارثه فى مائة وخمس عشرة سنة فى الاندلس (١) أبو عمر الحجارى (٢) عبد الملك بن سعيد (٣) أحمد (٤) محمد ابنا عبد الملك (٥) موسى بن محمد (٦) على بن موسى (المعروف بابن سعيد) وفى هذا السفر من أول الكتاب الثانى من الكتب التى يشتمل عليها كتاب مملكة تدمير ينتهى الى آخر الكتاب وهذا المجلد بخط مكمل تصنيفه على بن سعيد كتبه فى مدينة حلب المحروسة للخزانة الصاحبية الكمالية بتاريخ سنة ٦٤٧ وتوفى على بن سعيد قيل بدمشق سنة ٦٧٣ وقيل بتونس فى حدود سنة ٦٨٥

وعلى ذكر ابن سعيد ذلك الرحلة الطرفة المشهور نذكر له كتابا يندرج فى هذا الموضوع واسمه الرزمة يشتمل على وقر بعير من رزم الكراريس لايعلم ما فيه من الفوائد الادبية والاخبار الا الله تعالى

وقد ألف الشيخ عبدالرحمن بن محمد البسطامى المتوفى سنة ٨٤٥ للهجرة كتابا فى موسوعات العلوم قال صاحب كشف الظنون انه ذكر فى فواتحه طرفا من العلوم واورد فيه غرائب وعجائب لم تسمعها آذان الزمان حتى بلغت مقدار مائة علم وذكر فيها أقسام العلوم الشرعية والعربية

أقول انى رأيت هذا الكلام بفصه ونصه فى كتاب الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية عند ترجمة المولى لطف الله الآتى ذكره الان حاجى خليفة اورده مخلوطا فى كشف الظنون وجاراه فى ذلك صاحب ابجد العلوم

واعلم أن صاحب كشف الظنون قد ذكر هذا الكتاب أيضا فى موضع آخر فى حرف الفاء وذكر عنوانه حيث قال (الفوائح المسكية فى الفواتح المكية) للشيخ عبدالرحمن بن محمد البسطامى الحنفى . واليك ما نقله عنه الكشف مما أثبت عندى أن مسمى الكتابين واحد

قال : لما حبانى الله تعالى بهذه المعانى الكونية التى طفت فى تحصيلها البلاد ورفضت لذة الرقاد القى الله تعالى فى خطرى

ان

ان أعرف الجناب بفنون من المعارف الربانية اذ كان الاغلب مما أودعت بطون أوراقها عند حلولى بمكة المكرمة ووقوفى بعرفات كماله وطوافى بكعبة جماله وجعلت شرح معارف علومها من ذخائر خزائن شمس المعارف ونسجت مبانى ديباجة أبوابها من معادن مخازن الفتوحات المكية فى معرفة الاسرار المالكية والملكية من الفنون التى قيدت معانيها من رياض العلماء من سنة ٧٩٥ الى سنة ٨٤٤ التى نحن فيها وقد رتبتها على مائة باب فى كذا وكذا وانتهى الى ثلاثين ولم يكملها

ولما جاء المولى لطف الله بن حسن التوقانى المقتول فى سنة ٩٠٠ ألف كتابا مختصرا فى موضوعات العلوم برسم السلطان بايزيد خان ثم شرحه وسماه المطالب الالهية . هذا ولم أعثر على اسم المتن لا فى كشف الظنون ولا فى الشقائق النعمانية فان العلامة طاشكبرى زاده لم يذكر فى هذا الاخير سوى ماقلته قبيل هذا وقد نقله الكشف وتبعه الابجد بالكيفية التى نبهت عليها

ثم صنف العلامة جلال الدين الدوانى المتوفى سنة ٩٢٠ انموذج(١) العلوم وأورد فيه عشرة من العلوم واهداه الى السلطان

(١) نبهنا فى حاشيه الصحيفة الخامسة على ان الانموذج لحن كما فى القاموس ولكن العلماء مختلفون فى ذلك وأنت تعلم ان الزمخشرى وهو من ائمة اللغة الذين يرجع اليهم قد اختصر مفصله فى رسالة سماها الانموذج ولا يخفى أيضا ان الدوانى من جهابذة الرجال الذين يؤخذ بقولهم والله أعلم

محمود وهو كتاب لطيف فى بابه ويحتوى على مسائل من كل علم

وفى أيام السلطان محمد الفاتح راجت سوق المعارف وسطعت شموس الآداب لانه كان يعضد اهلها ويشد ازرهم فظهرت عدة موسوعات كبيرة منها مؤلف معتبر للامام جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ سماه النُقاية وضمنه اربعة عشر علما ثم شرحه وسماه اتمام الدراية لقراء النقاية ثم نظمه شهاب الدين عبد الحق السنباطى المصرى المتوفى سنة ٩٩٠ فى الف وخمسمائة بيت تقريبا وزاد عليه اربعة علوم هى الحساب والعروض والقوافى والمنطق

ثم ظهر السفر البديع العجيب المسمى بمفتاح السعادة ومصباح السيادة من تأليف المولى عصام الدين أبى الخير أحمد بن مصطفى المشهور بطاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٧ قال صاحب الكشف انه ذكر فيه انواع العلوم وضروبها وموضوعاتها وما اشتهر من المصنفات فى كل فن مع نبذ من تواريخ مصنفيها فجاء كتابا عزيزا غزير الفائدة يحتوى على خمسمائة علم (١) وجعله على طرفين

(١) هكذا فى كشف الظنون فى بعض المواضع والعهدة عليه ونقله كذلك صاحب أبجد العلوم وفى بعض المواضع يقول صاحب الكشف انها ١٥٠ وهذا مطابق للقول الصحيح الذى نص عليه المولى طاشكبرى فى الكتاب من (ان العلوم مع كثرة فنونها وتعدد شعوبها منحصرة فى أربعة أنواع وذلك لان للاشياء وجودا فى أربع مراتب فى الاعيان وفى الاذهان وفى العبارة وفى الكتابة وقد استقرأت أنواع العلوم وتتبعت اقسامها فوجدتها ١٥٠ ولعلى سأزيد عليها شيأ ان شاء الله) اه

الاول فى خلاصة العلم وذكر فيه ثمانية عشر وصية للطالبين والثانى فى تعداد العلوم وضمنه ثلاثة اقسام الهية واعتقادية (كذا) وعملية وجعل علم الاخلاق ثمرة كل العلوم

وقال فى دائرة المعارف انه يقسم العلوم الى سبعة اقسام وهى البيان والفصاحة والمنطق والفلسفة النظرية والفلسفة العملية والعلم الايجابى النظرى والعلم الايجابى العملى وقد نقله الى التركية ابنه المولى كمال الدين محمد (المترجم فى خلاصة الاثر) ببعض الحاقات وتصرف قال فى دائرة المعارف انه أوصله الى خمسمائة علم كما قال ذلك ايضا صاحب الكشف فى بعض المواضع

وفى عصر السلطان أحمد العثمانى الف له المولى محمد أمين بن صدر الدين الشروانى كتابا جمع فيه ثلاثة وخمسين علما من أنواع العلوم العقلية والنقلية وسماه الفوائد الخاقانية الاحمدخانية وقد رتبه على مقدمة وميمنة وميسرة وساقة وقلب على نحو ترتيب جيش السلطان فالمقدمة فى ماهية العلم وتقسيمه والقلب فى العلوم الشرعية والميمنة فى العلوم الادبية والميسرة فى العلوم العقلية وقد أورد منها ثلاثين علما والساقة فى علم آداب الملوك وانما اقتصر على ذلك العدد ليكون موافقا لعدد احمد على حساب ابجد

ولحافظ الدين محمد العجمى المتوفى سنة ١٠٥٥ المترجم فى خلاصة الاثر كتاب اسمه فهرست العلوم يرجع اليه صاحب كشف الظنون فى كثير من المواضع بما يدل على انه موضوع فى موضوعات العلوم

وفى هذا المقام نذكر شيأ عن كتاب كشف الظنون الذى كان عليه بعض اعتمادى فى هذا البحث فانه من أفضل الكتب وأكملها وليس على الاديب الا ان يقلب الطرف فى صفحاته فيرى كيف تتدفق جداول المعارف وتفيض انهار العلوم ويعلم مقدار العناية التى بذلها صاحبه المحقق فى تصنيفه و يشكره على هذه الخدمة الجليلة التى وفى بها حقوق العربية وأهلها أما ترجمة الرجل فلم أعثر عليها فى كتاب مع كثرة البحث والمراجعة ومساءلة الادباء والعلماء وغاية ماعلمته انه كان معيرا باحدى خزائن الكتب الكبيرة فى دار السعادة العلية (القسطنطينية) وانه كان على جانب عظيم من العلم فتمكن بهاتين الصفتين من جمع هذا الكتاب الذى رفع قدره وخلد بين العلماء ذكره وقد رأيت جماعة من الدوعيين يكتبون اسمه فى مجانى الادب وغيره من كتبهم بهذا الرسم (حجى خانفا) وأما دائرة المعارف فرقته بهذه الكيفية (حجى خليفة) وسماه صاحب كتاب ابجد العلوم هكذا (خواجة خليفة زاده ملا كاتب الجلبى) وأما

نسخة كشف الظنون المطبوعة فى بولاق فعليها اسمه هكذا (ملا كاتب جلبى) وأما هو فقد قال فى الكشف عند ذكر كتابه الذى سماه (تقويم التواريخ) مانصه « بجامع هذا الكتاب مصطفى بن عبد الله القسطنطينى مولدا ومنشأ الشهير بحاجى خليفة » ولا غرو فان تعدد الاسماء يشعر بشرف المسمى

وقد رتب كتابه على حروف المعجم بعد ان صدره بمقدمات مفيدة للدرجة القصوى شرح فيها أحوال العلم وتعريفه وتقسيمه ومنشأه والكتب ونزولها وعلوم أهل الاسلام والمؤلفين والمؤلفات وفوائد شتى وأتى فى شرح هذه الابواب بالفصول الرائقة والبيانات الفائقة والاعلامات المدققة والافصاحات المحققة والاشارات الجليلة والمناظر الجميلة والفتوحات الجزيلة والحقه بفرائد الفوائد وروائع البدائع بحيث لم يدع لاولى الآداب مجالا للدخول بعده من هذا الباب فانه أفصح وأوضح ووفى بالمراد حتى كان كلامه فى هذا الموضوع غاية ما يمكن ان يصل اليه الناس ولذلك ترجم الالمانيون هذه المقدمات وادرجوها باحدى موسوعاتهم المعتبرة وانت عليم بان لهم اليد الطولى والقدم الراسخ فى ميدان المعارف

وقد رتبه على الحروف المعجمة مثل أساس البلاغة والمصباح وذكر الكتب بمناسبة أوائلها مع ذكر مصنفيها ووفياتهم في الغالب وكشف عن أمر هذه المؤلفات من حيث عناية العلماء بها بأي وجه من الوجوه وخصوصا الكتب الكبيرة الشهيرة التي عم نفعها فانه عرّفها تعريفا وافيا بالمقصود على انه قد قصّر في الكلام على بعض الكتب الغريبة العزيزة ولعل هذا جاء من عدم وقوعها له اندرتها وقد ذكر الكتب التي لا اسم لها باعتبار الاضافة في حرف التاء (تاريخ) والدال (ديوان) والراء (رسالة) والكاف (كتاب) والقاف (قصيدة) والشين (شرح أسماء الله الحسنى) وغير ذلك ونص على الكتب الفارسية أو التركية أو المترجمة لزيادة التعريف وكمال الفائدة

ثم شرح موضوعات العلوم في أبوابها مثلا الحكمة في باب الحاء والموسيقى في الميم الخ وقد اهتدى في ذلك بمشكاة كتاب مفتاح السعادة على الخصوص فانه تعقبه بالنقد اللطيف في بعض المواضع وزاد عليه في البعض الآخر ونقل كلامه بالحرف في جهات كثيرة وفي خلال ذلك يشرح بعض كلمات تهم اللبيب معرفتها مثل الأمالي في باب الالف والمباحث التي وقعت بين كبار العلماء فانه يتكلم عليها في باب (بحث) وكالتوراة في باب التاء وكقصيدة البردة وغيرها في باب القاف وكمسئلة

الجزر الاصم فى باب الميم (١) وكمسئلة وحدة الوجود التى يذكرها فى باب الواو وغير ذلك من الفوائد التى تدل على فضله العظيم

وقد طُبع الكتاب فى مدينة لوندرة عاصمة الانكليز طبعا أنيقا فائقا فى العناية والتصحيح وقد ترجمه كله الى اللغة اللاتينية العلامة جوستافوس فلوجل و عدد أسماء الكتب والعلوم التى شرحها حاجى خليفه فكانت ١٤٥٠١ مادة وفى آخره ذيل له ألفه المولى حنيف زاده محمد طاهر و بلغت الكتب التى أضافها خمسمائة كتاب وستة كتب وعندى انه لم ينهج مثل حاجى خليفة فى توفية الشرح والبيان بل هو مثل صاحب وفاة الوَفيات الذى ذيّل ابن خلكان

وفى آخر هذه الطبعة جدولان مفيدان جدا أحدهما يشتمل على الكتب المتداولة فى بلاد المغرب من تفسير وقراآت وحديث وفقه ونحو وتوحيد وقضاء وحساب وميراث ووثائق

---

(١) يذكر هذه المسألة فلاعة الماويها من التصليل العربي بقال . وهى فيما قيل ان اجتماع النقيضين واقع لانه لو قال قائل كل كلامى فى هذه الساعة كذب ولم يتكلم فى هذه الساعة بغير هذا الكلام أصادق هو أم كاذب وقد ذكرها التفتازانى فى شرح المقاصد وقال هذه مغلطة تحير فى حلها عقول العلماء ولهذا سميتها مغلطة الجزر الاصم الخ اه

وطب ورسائل وتنجيم واسطرلاب (١) وأصول وبيان وخطب وتاريخ وأدب وعروض وتصوف ومنطق وفتوى ولغة وفنون متنوعة وقد بلغ عددها كلها ٤٤٣ كتابا

والجدول الثانى يشتمل على مؤلفات السيوطى فى جميع أنواع العلوم وقد بلغت ٥٠٤ وبعد ذلك جداول كثيرة عن بيان الكتب المخطوطة بالازهر والمدارس القديمة بديار مصر وغير ذلك مما يهم الاطلاع عليه بحيث ان هذه النسخة المطبوعة بالعربية واللاتينية فى مدينة لوندرة من سنة ١٨٣٥ الى سنة

(١) هو بالسين على ما ضبطه أهل الوقوف وقد تبدل السين صادا لمجاورتها للطاء وهو أكثر وأشهر وهو من فروع علم الفلك وليس من شأننا أن نتعرض لبيان موضوعه فى هذا المقام وانما نرى من الواجب ذكر شئ مما قاله القوم فى صدد تعريب اللفظ قالوا انه كلمة يونانية معناها ميزان الشمس وقيل مرآة النجم ومقياسه وقيل انه كان لادريس عليه السلام ابن يسمى لاب وله معرفة بالهيئة فبسط الكرة واتخذ هذه الآلة فوصلت الى أبيه فقال من سطر هذا فقيل سطر لاب فوقع عليه هذا الاسم وقيل أسطر جمع سطر ولاب اسم رجل وقيل فارسى معرب من استاره ياب أى مدرك أحوال الكواكب قال بعضهم هذا أظهر وأقرب للصواب لانه ليس بينهما فرق لا تغيير الحروف اه والقول الذى ينبغى أن يعول عليه هو الاول أو الثانى فانه يوافق ما ذهب اليه الافرنج فى بيان أصل كلمة Astrolabo فقد قال جماعة انها مركبة من أسترون (كوكب أو نجم) ومن لافن (الرعب او الفزع) وقال آخرون انها مركبة من آسترون (وقد عرفت معناها) ومن لامبون (ومعناها أتناول) والمقصود أتناول الكوكب وهذا يوافق ما حققه العلامة عاصم أفندى فى الاوقيانوس مع مادة يساغوجى حيث صرح بان أسطرلاب بفتح الهمزة وان اسطر كلمة يونانية معناها النجم وان لاب يونانية أيضا معناها الاخذ فمعناه التركيبى أخذ النجم يراد به أخذ أحكام النجم

١٨٤٣

١٨٤٣ ميلادية تفوق النسخة المطبوعة فى بولاق سنة ١٢٧٤ هجرية بكثير جدا

وعندى انه نسج فى تأليفه هذا على منوال ابى الفرج محمد ابن اسحق الوراق المعروف بيعقوب النديم البغدادى الذى صنف كتاب فوز العلوم وقد يسميه بعضهم فِهْرِسْت (١) العلوم لانه قال فيه هذا فهرست العلوم القديمة وتصانيف اليونان والفرس والهند الموجودة منها بلغة العرب وقلمها

وقد رأيت فى ابن خلكان شيأ عن هذا الكتاب عند ذكر ترجمة أبى الوفاء البوزجانى الحاسب المشهور وأحببت ايراده هنا للفائدة قال وكنت وقفت على تاريخ ولادته على هذه الصورة (أى سنة ٣٢٨) فى كتاب الفِهْرِسْت تأليف أبى الفرج ابن النديم ولم يذكر تاريخ وفاته فكتبت هذه الترجمة وذكرت تاريخ الولادة فأخليت بياضا لاجل تاريخ الوفاة لعلى أظفر به فان قصدى فى هذا التاريخ انما هو ذكر الوفاة كما ذكرته فى أول الكتاب ثم انى وجدت تاريخ الوفاة فى تاريخ شيخنا ابن الاثير وقد ذكرها فى هذه السنة المذكورة (أى سنة ٣٧٦) فالحقتها وكان بين شروعى فى هذا التاريخ وظفرى بالوفاة أكثر من عشرين سنة والله تعالى أعلم

(١) تنبيه الفهرست كلمة فارسية معربة قال فى القاموس انها تدل على الكتاب الجامع للكتب وهى عبارة مبهمة ولم يتعرض صاحب تاج العروس لشرحها فهل

وللارنيق كتاب اسمه مدينة العلوم اعتمد عليه صاحب أبجد العلوم اعتمادا كبيرا فى أغلب مواضيعه وأبوابه وأورد من مقدمته طُرَفا خيلت لى انه هو ومصباح السعادة شئ واحد أو ان أحدهما نقل عن الآخر من غير ان ينسب اليه ولقد ازداد عجبى لما خالجنى هذا الخاطر خصوصا عند ما رأيت صاحب الابجد يسرد فِهْرس كتاب مدينة العلوم وكيفية ربطه للعلوم مع بعضها فانها اشبهت عندى تمام

المقصود انه كتاب جمع أسماء الكتب وتكفل ببيان مشتملاتها ووصفها وحينئذ يدخل تحته كتاب كشف الظنون وأمثاله و يكون مقابله فى الافرنجية

Dictionnaire ou catalogue bibliographique

أو المراد انه كتاب حوى جملة كتب مثل مجموع المتون المتداول فى مصر وجامع المتون تأليف صاحب كشف الظنون وغيرهما من الكتب التى ذكرناها وذكرها وحينئذ يمكن استعماله فى ترجمة كلمة انسكلوبيديا *Encyclopédie* التى اخترت لها كلمة موسوعات العلوم والذى أراه فى هذا الشأن وان لم أكن من فرسان هذا الميدان هو ترجيح التخريج الاول مع عدم تخريج الثانى فان كلمة موسوعات أتم فى الدلالة على معنى انسكلوبيديا ولا ينصرف بها الذهن الى غيره الا انها ليست مستعملة الآن ومتى تم شيوعها وتحدث بها الناس واستعملها الكتاب والمنشئون صارت دلالتها واضحة ومعناها ظاهرا — وأما كلمة فهرست فان الاستعمال يصرفها الى كتاب مرتب على حروف المعجم للكشف عن بعض الاسماء وقد يطلق أيضا على الجدول الذى يوضع فى آخر الكتاب حاويا تراجم ما تضمنه من الفصول والابواب وهنا أقول ان العادة عند المؤلفين ان يقسموا تأليفهم الى جملة كتب فيقولون الكتاب الاول فى الطهارة مثلا والكتاب الثانى فى كذا وكذا الخ فيكون الكتاب هنا بمعنى الباب أو الفصل المستعملين عند المحدثين

المشابهة فهرس مفتاح السعادة اذ كنت توجهت اثناء اشتغالى بجمع هذه الرسالة الى الكتبخانة الخديوية واطلعت عليه قبل اطلاعى على الابجد ثم رأيت صاحب الابجد قد أورد العبارة الآتية على هامش صحيفة ٢٨٩ من كتابه وهى من الغرابة بمكان

(ولم نقف من كتاب مفتاح السعادة الا على مانقله ملا كاتب الجلبي فى كشف الظنون و وقفنا على كتاب مدينة العلوم فوجدناه كأنه هو لاوكس فى العبارة ولا شطط فى الاشارة لكن لم يتعرض لذكره صاحب الكشف كما تعرض لذكر المفتاح مع انه مقدم التأليف فلم يحصل الفرق لنا بين هذين الكتابين فى المبنى والمعنى غير انهما متفاوتان اسما ومتحدان مسمى الخ) اه

فلما رأيت ذلك لم أتمالك ان توجهت الى الكتبخانة الخديوية العامرة ثانية وقابلت بين مقدمة مدينة العلوم وفهرسه على ما فى أبجد العلوم و بين مقدمة مفتاح السعادة وفهرسه فاذا الكتابان لا يكادان يختلفان الا فى بعض الفاظ قليلة وزيادات طفيفة جدا وتقديم وتأخير لا يشعر به الانسان هذا وربما كان كتاب مدينة العلوم مجهولا فانتحله المولى طاشكبرى زاده وغير اسمه فانا لم نسمع به قط وغاية ماعلمته اثناء بحثى فى موضوع هذه الرسالة ان لاحد الفضلاء صديقا عنده

كتاب اسمه مفتاح مدينة العلوم ولم يتح لى الاطلاع عليه ولكن عالمية طاشكبرى زاده وشهرته وتداول كتبه المفيدة المتعددة مما لايختلف فيه اثنان فليت شعرى ما هى الحقيقة فى هذا المشكل العظيم وهل سرق الرجل هذا التأليف الجسيم وغير اسمه ليدلس على العلماء * لاأقدرأن أقول بذلك ولكنى اترك هذا البحث للايام فهى تتكفل ببيان الحقيقة واماطة النقاب عن هذا الامر العجاب

نرجع لموضوع البحث ونذكر كتاب كشاف اصطلاحات العلوم للشيخ الفاضل محمد على بن أعلى التهانوى الهندى وقد اطلعت عليه فاذا هو فى جزءين ضخمين جدا واف باصطلاحات جميع العلوم كاف للمتعلم مؤنة البحث والمراجعة فى كتب كثيرة متنوعة بل هو كالبحر الزاخر بمعارف الاوائل والاواخر وقد رتبه صاحبه على حروف التهجئة لسهولة البحث وقسمه الى قسمين الاول فى شرح الالفاظ العربية والآخر فى الالفاظ العجمية المعربة وجعل له مقدمة مستوفاة فى بيان العلوم المدونة وما يتعلق بها وشرحها شرحا واسعا جدا فجاء كتابا تفتخر به اللغة العربية فى هذا المعنى

وأما كتاب أبجد العلوم فهو من تآليف الملك الفاضل الجليل السيد محمد صديق حسن خان بهادر الحسينى البخارى القنّوجى (بكسر القاف وفتح النون المشددة وسكون الواو نسبة

الى

الى قنوج كسنور بلدة بالهند) ملك بهوبال المحمية وهو ينقسم الى ثلاثة أجزاء الاول الوشى المرقوم فى بيان أحوال العلوم والثانى السحاب المركوم الممطر بانواع الفنون وأصناف العلوم والثالث الرحيق المختوم من تراجم أئمة العلوم وهو كتاب مفيد جدا وتدل أسماء ابجزائه على مواضيعه ولا حاجة بنا الى وصفه والكلام عليه فقد أغنتنا عن مدحه شهرة مؤلفه النبيل وكتبه التى بلغ عددها ٥٨ كما أوردها فى كتابه هذا مرتبة على حروف المعجم وكان لكل حرف منها حظ سوى الزاى والطاء فانه لم يدون كتابا يبتدئ اسمه بأحد هذين الحرفين ونحن نبتهل الى رب البرايا ان يديم حياته الطيبة وأن يبقيه للآداب حصنا حصينا وللعرفان ركنا متينا أمينا

ولا يصح أن ننسى كتاب كليات أبي البقاء الذى تكفل ببيان الكليات وشرح فيه الكلمات الواردة فى القرآن ثم فى الحديث من حيث كونها كلية عامة فى المعنى ويذكر استثناء بعض العبارات التى وقعت مخالفة للمعنى الكلى ثم يدخل فى شرح الالفاظ المصطلح عليها فى جميع الفنون والعلوم بأوفى شرح وأكمل بيان ويستطرد فى أثناء ذلك الى ذكر بعض المسائل المهمة التى دار البحث عليها وكانت موضوع الخلاف بين العلماء بحيث ان كتابه جاء معجما موسوعيا كاملا فى بابه من حيث اللغة العربية

أولا ثم فنونها بأجمعها ثم العلوم الحكمية والطبيعية وما فوقها *
فبين هذا الكتاب وبين كشاف اصطلاحات الفنون السابق
ذكره عموم وخصوص مطلق يجتمعان فى كشف الاصطلاحات
وينفرد هذا بذكرها من حيث كونها كليات
وقد طبع هذا الكتاب فى بولاق مرتين وفى القسطنطينية
مرة وقد نفد الآن وعساه يطبع مرة أخرى مع العناية
بترتيب مواضيعه على الحروف الهجائية بمراعاة الاول والثانى
والثالث فان المؤلف رحمه الله أهمل ذلك كثيرا لكونه كان
مشتغلا بالجمع من مواضع متفرقة حتى تكررت معه الاقوال
وتشابهت المنقول فى غير موضع وهذا الترتيب الذى نشير اليه
لايخل بالاصل بل تكون فائدته ارشاد الطالب وهداية الباحث
الى سواء السبيل * ومما ينبغى زيادة الالتفات اليه أيضا
الاهتمام بوضع فهرست واسع واضح ليسهل الكشف بواسطته
على ماحواه ذلك الكتاب من الذخائر والنفائس أعنى أن هذا
الفهرست يكون مشتملا على بيان امهات المسائل وروس
الابواب وما انطوى تحتها من المباحث والمطالب حتى تربو
فوائده على المطبوع منه قديما وتزداد مزية هذا الكتاب
عند أولى الالباب

ويجمل بنا أن نورد هنا شيأ عن كتاب سفينة الراغب ودفينة
المطالب للعلامة الوزير راغب باشا الذى تولى ولاية مصر من قبل

السلطنة

السلطنة العثمانية السنية قبل العائلة المحمدية العلوية فانه جمع فيه شذورا جمة من المعارف وأتى فيه على كثير من المسائل ذات البال وهو يعد من أحسن المجاميع التى تلذ قراءتها لجميع الناس على اختلاف مشاربهم وتباين أذواقهم ولذلك كثر تداوله وتناوله خصوصا بعد تميم طبعه وتعميم نفعه

ولمولانا المرحوم الشيخ عبدالهادى نجا الابيارى المترجم فى كتاب الخطط التوفيقية الجديدة لصاحب السعادة على مبارك باشا ناظر المعارف العمومية كتاب جليل فى هذا الموضوع ألفه برسم الجناب الخديوى السابق وسماه سعود المطالع شرح سعود المطالع وشرح فيه اثنين وأربعين فنا قال انه حواها لفظ اسمعيل على ما هو مبين فيه وهو فى جزأين لطيفين

ثم قام الطيب الذكر المعلم بطرس البستانى واجتهد فى عمل أول موسوعات عربية عامة على ترتيب حروف المعجم وحذا فيها حذو المؤلفات الافرنجية التى شاعت فى هذه الايام وعادت على المعارف بأجل العوارف وقد اقتبس موادها من الكتب العربية والافرنجية حتى كان فى الامل ان تكون من أفضل المؤلفات لولا ان اخترمته المنون بعد ظهور الجزء السادس بينما كان على أهبة طبع السابع ولكن ابنه سليما اقتفى خطته الحميدة ونسج على منواله فأظهر الجزء الثامن وهو ينتهى بلفظ روسچق ولم يلبث هو أيضا ان اختطفته مخالب الموت فقام أخوه نجيب

البستانى باتمام هذا العمل الجسيم فطبع الجزء التاسع
فى جمادى الثانية سنة ١٣٠٤ ولكن العوائق المتعددة
منعت من نشره لحد شعبان سنة ٣٠٧ ولم يصل الا الى لفظة
سليك ولذلك يئس الناس من تمام هذا الكتاب النفيس كانه
قدر عليه ان يبقى مبتورا أو يلاقى من الموانع مايحجب نوره
دهورا ولكنا لا نقنط من قيام بعض ذوى الغيرة والحمية فيتمونه
كما هى العادة عند العلماء شرقا وغربا رغبة فى تعميم المعارف
وتشييد أركانها وان فى القسطنطينية ومصر وبيروت
رجالا اشتهر فضلهم اشتهار الشمس فى رابعة النهار وألفوا
الكتب العديدة المفيدة فلا نعدم منهم من يقوم بهذا المشروع
خير قيام بل قد بدت لنا بشائر الفلاح وشمنا فى أفق
الرجاء بروق النجاح فقد بلغنا ان جماعة من الفضلاء
النبلاء شرعوا فى تأسيس مجمع على عربى (اكاذيميه)
وموضوعه جميعه الفنون العربية ونشروا مشروع قانونهم على أهل
الادب والفضل للنظر فيه وابداء ملحوظاتهم عليه فياحبذا
لو اهتموا بهذين العملين الجيدين وهما تشكيل الجمعية وتكميل
الدائرة فيكون لهم بهما حق عظيم على الناطقين بالضاد وينتشر
صيتهم فى جميع البلاد ويكونون فى مقدمة العاملين على خير
العباد والله يوفق من أراد وعليه الاتكال فى تحقيق الآمال
واجابة السؤال

وقد رأيت ان أختم المقال فى هذا المجال بذكر شئ عن قصيدة خليقة بان تُعَدّ فى الموسوعات العامة نظمها أبو الرجاء محمد بن احمد بن الربيع الاسوانى الشافعى المتوفى سنة ٣٣٥ وضمنها أخبار العالم وقصص الأنبياء ومختصر المُزَنى (١) والطب والحديث والفلسفة وغير ذلك قيل انه سئل قبل موته كم بلغت قصيدتك الى الآن فقال ثلاثين الفا ومائة ألف بيت وبقى علىّ أشياء تحتاج الى زيادة

وحيث انا طرقنا باب النظم فلا بأس من ذكر بعض قصائد لاتخرج عن موضوع كتابنا هذا لانها تشبه ان تكون موسوعات فمن ذلك قصيدة فى نحو ألف بيت لشمس الدين محمد ابن حسن بن الصائغ الدمشقى المتوفى سنة ٧٢٠ وهى فى الصنائع والفنون وكان حقنا ان نذكرها فى فصل الموسوعات الخاصة ولكنا اضْطُرِرْنا الى ذكرها فى هذا المقام لما بيناه مما يسوغ لنا ان نذكر أيضا (القصيدة اليائية فى أسامى الكتب العلية) لشرف الدين محمد بن عمر

(١) المزنى كشرطى نسبة الى مزينة كجهينة حيث يقال فى النسبة اليها جهنى وهو الشيخ الامام اسماعيل بن يحيى المزنى الشافعى المتوفى سنة ٢٦٤ أول من صنف فى مذهب الشافعى وكتابه متداول معروف وعليه شراح كثيرون وكلهم يعترفون بانهم لم يدركوا من حقائقه غير اليسير ولهذا الكتاب قيمة عظيمة وقدر خطير وقد اختصره من العلماء جم غفير .

القدسى الكاتب المتوفى سنة ٧١٢ ذكره ابن حجر فى كتاب الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة وقال صاحب كشف الظنون وما رأيت من ألف فيه (١) شيأ غيره (٢) وقد عرفت حال النظم وضيقه عن الاستيعاب كما ينبغى

فتأمل يارعاك الله فيما سقته اليك من نبا الكتب العظيم وردد الطرف فى محاسن أولئك القوم ترأنهم سبقوا من عداهم من الامم لما جاروهم فى ميدان العلم وزاحموهم على منهله العذب فكانوا السابقين الراجحين وقل لله درهم من أمة غيرت الاوضاع ونورت الافكار ودوخت الارض بمن عليها كما زاولت

---

(١) أى فى هذا الموضوع وهو بيان أسماء الكتب

(٢) كيف يقول ذلك مع وجود فهرست العلوم الذى تكفل بترجمة كبار العلماء وبذكر مؤلفاتهم مع بعض الشرح والبيان فضلا عن ذلك فقد ذكره فى كتابه وعلى كل حال فهذا يوافق ما قلناه فى فاتحة هذه الرسالة من أن علم الكتب لم ينل من علمائنا كبير حفاوة وان كانوا قد فتحوا بابه * وهنا أذكر أيضا البارون كرعرا المتوفى حديثا قال فى الخطاب الذى افتتح به مؤتمر اللغات المشرقية المنعقد فى مدينة ويانة سنة ١٨٨٦ (ان أحد أمراء المصريين ألف كتابا جليلا ضمنه الكلام على جميع الكتب المصنفة بخصوص ديار مصر منذ الاحقاب الحالية الى الازمان الحالية * وقد هدانى البحث فعرفت أن الامير الذى يشير اليه هو صاحب الدولة البرنس ابراهيم حلمى باشا وكتابه باللغة الانكليزية وقد رأيت نسخة منه بالكتبخانة الخديوية

العلوم ومهدت سبل الوصول اليها فلسان حالهم ينادينا الآن أن هلموا الى السير على سنن أسلافكم وجدّوا فى ادخال المعارف الى ربوعكم لكى تتمتعوا برغد العيش وتفوزوا بنعيم الحياة فقد أشرقت عليكم شمس النجاح فى سماء السعادة وانبعثت فيكم تلكم الروح روح الاقدام على الاعمال العظام حتى غدوتم وقد قطعتم شوطا بعيدا فى ميدان التقدم وحثثتم ركاب الطلب لنوال الارب وعليكم أن تستمدوا من الحكيم العليم أن يعينكم فى مشروعكم الجليل ويهديكم سواء السبيل

فصل

فى الموسوعات الخاصة

الغاية التى توخيتها فى هذا الفصل هى البحث عن بعض الكتب التى اشتملت على عدد معين من العلوم وقد جمعت فى هذا الفصل كتبا تتعلق باللغة وعلومها والادب وبعلوم متعددة أو بعلم واحد وبالفلسفة ثم الفقه والتفسير ورأيت أن أسردها على حسب وفيات أصحابها لما فى ذلك من السهولة

ولقد كان الفارابى رحمه الله سابقا فى حلبة هذا الميدان أيضا فان له كتابا فى أغراض افلاطون وارسطو قال صاحب مفتاح السعادة انه اطلع فيه على أسرار العلوم وثمارها علما علما

وبين كيفية التدرج من بعضها الى بعض شيأ فشيأ (١) ثم بدأ بفلسفة افلاطون يعرف غرضه منها ثم اتبع ذلك بفلسفة ارسطو ووصف اغراضه فى تآليفه المنطقية والطبيعية قال ولا أعلم كتابا اجدى على طلب الفلسفة منه

واعلم أن علم الفقه لم تخل كتبه من الموسوعات بل هى متداولة مستفاضة فى أيدى القوم ولا نرى من حاجة لبيانها فى هذا المقام فانه نال من علمائه عناية عظمى و رعاية كبرى ولكنا نذكر موسوعات حنبلية لعدم شيوع هذا المذهب بين امة الاسلام فلذلك كان هذا الكتاب خليقا بالذكر وهو (الجامع لعلوم الامام احمد بن حنبل) للشيخ الامام أبى بكر أحمد بن محمد الخلال البغدادى الحنبلى المتوفى سنة ٣١١ وهو كتاب لم يصنف فى مذهبه مثله

واذكر الاغانى لابى الفرج على بن الحسين الاصبهانى المتوفى سنة ٣٥٦ وهو كتاب لم يؤلف مثله اتفاقا قال أبو محمد المهلبى سألت أبا الفرج فى كم جمع هذا فذكر أنه جمعه فى خمسين سنة وأنه كتبه فى عمره مرة واحدة بخطه وأهداه الى سيف الدولة فانفذ له ألف دينار ولما سمع الصاحب ابن عباد قال لقد قصر سيف الدولة وإنه ليستحق أضعافها اذا كان مشحونا بالمحاسن المنتخبة

(١) وهذه هى أيضا مسئلة تقاسيم العلوم التى نبهنا اليها فى الصحيفة الثانية عشرة من كتابنا هذا

والفقر

والفقر الغريبة فهو للزاهد فكاهة وللعالم مادة وزيادة وللكاتب المتأدب بضاعة وتجارة وللبطل رجلة وشجاعة وللمضطرب رياضة وصناعة وللملك طيب ولذاذة ولقد اشتملت خزائنى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد مافيها سميرى غيره ولقد عنيت بامتحانه فى أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع مايفتخر عن اسماع من قرفه بذلك قد اورده العلماء فى كتبهم ففاز بالسبق فى جمعه وحسن وضعه وتأليفه * واقد كان عضد الدولة لايفارقه فى سفره ولا حضره * واقد بيعت مسودته بسوق بغداد باربعة آلاف درهم انتهى

وهاك بعض عبارات منقولة من ذلك الكتاب النفيس تدل على موضوعه وفوائده قال انه (جمع فيه ماحضره وأمكنه جمعه من الاغانى العربية قديمها وحديثها ونسب كل ماقاله منها الى قائل شعره وناظم لحنه ..... واعتمد فى هذا على ماوجد لشاعره أومغنيه أو السبب الذى من أجله قيل الشعر أو صنع اللحن خبرا يستفاد ..... وأتى فى كل فصل بنتف تشاكله ولمع تليق به وفقر اذاتأملها قارئها لم يزل متنقلا بها من فائدة الى مثلها ومتصرفا بها بين جد وهزل وآثار وأخبار وسير وأشعار متصلة بايام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقصص الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الاسلام تجمل بالمتأدبين معرفتها ويحتاج الأحداث الى دراستها ولايرتفع من فوقهم من الكهول

عن الاقتباس منها اذ كانت منتحلة من غرر الاخبار ومنتقاة من عيونها ومأخوذة من مظانها ومنقولة عن أهل الخبرة بها)

وقد قال التنوخى انه وقع الاتفاق على أنه لم يعمل فى بابه مثله وذكر ابن خلكان ان ابن عباد كان يستصحب فى أسفاره حمل ثلاثين جملا من كتب الأدب فلما وصل اليه هذا الكتاب لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عنها

وقد اختار من هذا الكتاب جماعة من العلماء والامراء واعتنى به أهل الادب عناية كبيرة حتى ان بعضهم أختصره ورتبه على حروف المعجم وقد طبع فى بولاق فى عشرين جزأ واختصره فى هذه الايام جماعة اليسوعيين وسموه رنات المثالث والمثانى فى روايات الاغانى وقسموه الى جزأين الاول فى أخبار المغنين والشعراء (الروايات الادبية) والثانى فى أيام حروب العرب قبل الجاهلية والاسلام (الروايات التاريخية)

وأما كتاب (الكامل فى معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة) فهو لابى جعفر المعروف بابن عدى الجرجانى المترجم فى دائرة المعارف المتوفى سنة ٣٦٥ فى ستين جزأ وهو أكمل كتب الجرح والتعديل وعليه اعتماد الأئمة قال السبكى طابق اسمه معناه ووافق لفظه فحواه بجحته حكم المحكمون وبما يقول رضى المتقدمون والمتأخرون وقال حمزة السهمى سألت الدارقطنى أن يصنف كتابا فقال كتابى لايزيد عليه وقال الحافظ

ابن عساكر كتاب ابن عدى ثقة على لحن فيه وقال الذهبي كان لايعرف العربية مع عجمة فيه وأما فى العلل والرجال فحافظ لايجارى وعليه ذيل يقال له الحافل فى تكملة الكامل

وللامام أحمد بن ابان الاندلسى اللغوى المتوفى سنة ٣٨٢ كتاب مهم جدا اسمه العالم واللغة فى مائة مجلد رتبه على الاجناس فبدأ بالفلك لكونه أعظم الاجسام وختم بالذرة وفى بعض الكتب ورد اسمه هكذا أحمد بن ابان بن سيد اللغوى الآخذ عن أبى على القالى وان كتابه يسمى المعلم بفتح اللام

ولابي العلاء أحمد بن عبد الله المعرى كتاب الايك والغصون في ألف ومائتى كراسة فى فنون الادب وهو المعروف بالهمزة والردف قال ابن خلكان انه يرادف المائة جزء قال وحكى لى من وقف على المجلد الاول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف وقال لاأعلم ماكان يعوزه بعد هذا المجلد * وهذا لايستغرب من أبي العلاء صاحب الفكر الثاقب والمدارك السامية ورب المعانى الفائقة والآراء المشهورة والاشعار الرائقة والحكم المأثورة توفى أبو العلاء فى سنة ٤٤٩

ومن الذين يندرجون فى سلك هذا النظام العلامة أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الازدى البنجديهى الزاغولي الشافعي الفقيه الحافظ نسبة الى زاغول من قرى بنج ديه بمرو الروز من خراسان تفقه على السمعانى الكبير

والموفق ابن عبد الكريم الهروى والحسين بن مسعود البغوى الفراء وأبي عبد الله عيسى بن شعيب بن اسحق السجزى وعنه أبو سعيد السمعانى وترجمه فى اللباب وقال كان ثقة توفى سنه ٥٥٩ فقد ألف كتاب قيد الاوابد فى اربعمائة مجلد يشتمل على التفسير والحديث والفقه واللغة وقال صاحب كشف الظنون انه مات عن تسع وسبعين سنة وان كتابه مجموعة جمع فيها العلوم ورتبها ولعلها بلغت أربعمائة مجلد وقال فى نسبته انه الزاغوكى بالكاف وهو تحريف واضح وصوابه ان يكون باللام فان صاحبي القاموس والتاج أورداه فى باب اللام فصل الزاى فى ترجمة مادة ز غ ل فلم يبق شبهة فى أن الزاغوكى تحريف وقد رأيت هذا الاسم على صحته أى باللام فى نسخة من كشف الظنون بخط اليد

ومن الموسوعات التى يجدر التنبيه عليها كتاب (مجمع الامثال) فقد أفرده لذلك مؤلفه أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى المعروف بالميدانى المتوفى سنة ٥١٨ وقصره على ايراد الامثال وشرحها على أحسن حال قالوا انه يحتوى على نيف وستة آلاف مثل وقال (ان الامثال فى القرآن كثيرة وأما الكلام النبوى فقد صنف العسكرى فيه كتابا برأسه وأنا أقتصر ههنا على حديث صحيح وقع لنا غالبا) ثم ذكر ان الشيخ العميد الاجل السيد ضياء الدولة صفى الملوك أبي على محمد بن أرسلان حمله

على

على جعله مشتملا على غثها وسمينها محتويا على جاهليها واسلاميها فطالع لاجل ذلك أكثر من خمسين كتابا هى العمدة فى هذا الباب وطرح الامثال المشروحة وخرافات الاعراب ثم رتبه على حروف المعجم فى أوائلها وذكر فى كل مثل من اللغة والاعراب ما يفتح المغلق ومن القصص والاسباب ما يوضح الغرض وجعل له رموزا تدل على مآخذه ثم أورد الامثال التى أهملها المتقدمون وذكر التى استعملها المولدون وختم الكتاب بباب عقده فى أسماء أيام العرب وآخر فى نبذ من كلام النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وهو كتاب حسن جدا طبع بمطبعة بولاق فى جزأين ونفد الآن تماما وفى ترتيب أبوابه تساهل اذلم يراع فيه أول الكلمة وثانيها وثالثها بل أتت الامثال المبتدأة بحرف واحد فى باب واحد من غير تمييز بين ما يجب تقديمه وما يلزم تأخيره وفى ذلك من الصعوبة على الباحث مالا يخفى فعسى أن يتيح الله لفريق الادب من يأخذ على نفسه اعادة طبعه ويزيل هذا الخلل فيكون حقيقا بالثناء

ومما يدلك على عظيم قدر هذا الكتاب ان الزمخشرى وهو معاصر للميدانى كان ألف كتابا سماه المستقصى فى الامثال وبعد ذلك وقع له مجمع الامثال هذا فأطال نظره فيه وأعجبه جدا ويقال انه ندم على تأليفه المستقصى لكونه دون مجمع

الامثال في حسن التأليف والوضع وبسط العبارة وكثرة الفوائد

قال السيوطي في طبقات النحاة ان الزمخشري وقف على كتاب مجمع الامثال للميداني فحسده عليه فزاد في لفظة الميداني نونا قبل الميم فصار النميداني ومعناه بالفارسية الذي لايعرف شيأ فعمد الميداني الى بعض كتب الزمخشري فجعل الميم نونا فصار الزنخشري ومعناه بائع زوجته اه وفي كشف الظنون بعد ان نقل ما قاله السيوطي* (قال المولى الحناقي كأنه ظن ان شرى تورية من الشرى ولايخفى ان الخاء المعجمة حينئذ تبقى بلا معنى ولاوجه والظاهر ان التنكيت من زن خشري وخشري في استعمال العجم بمعنى المرأة غير الجيدة لان خشر يستعملونه بمعنى الطائفة المجتمعة من الاوباش فالمرأة المنسوبة اليهم غير صالحة)

(ونذلك هنا على كتاب مجمل الاسماء) لطاهر بن محمد بن يوسف الغزنوي فرغ من تأليفه بدمشق في آخر سنة ٥٦١ وهو مصنف في فنون مختلفة مشتملا على عشرة كتب الاول في خلق الانسان وذكر أحواله الى كبره وأوصافه الثاني في معرفة السماء وعلم مايتعلق بالهواء ومافيها من المنازل والرياح وغير ذلك الثالث في معرفة أسامي الارضين وجميع مافيها الرابع في أسامي الغياض والاشجار وأنواع الفواكه والزروع

الخامس

الخامس فى الابل وأوصافها السادس فى معرفة ذوات الحوافر من الخيل والبغال وغير ذلك السابع فى ذوات الاظلاف الثامن فى الطيور والسباع وأسامى جميع الهوام التاسع فى أسماء الصناع وأدواتهم العاشر فى معرفة أصناف الناس وفيه فنون مختلفة قال صاحب الكشف انه ذكر اللغات ثم فسرها بالفارسية

وللامام فخر الدين محمد بن عمر الرازى كتاب معالم السنن فى أصول الدين يشتمل على خمسة أنواع من العلوم المهمة الاول علم أصول الدين الثانى علم أصول الفقه الثالث علم الفقه الرابع أصول معتبرة فى الخلاف الخامس أصول فى آداب المناظرة والجدل

ومما يليق ذكره هنا كتاب مفتاح العلوم للعلامة السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ فانه حصل له شهرة لم يماثله فيها كتاب قط واستمرت مدة قرن ونصف واعتنى به العلماء شرحا وتعليقا وتلخيصا حتى ان صاحب كشف الظنون استغرق فى ذكر شروحه وملخصاته وحواشيه ثلاث صفحات من القطع الكبير وقد أربت شروحه على المائة وكان عدد الذين لخصوه أكثر من الذين شرحوه وان لم يشتهر الا تلخيص القزوينى الذى شرحه سعد الدين التفتازانى

واعلم أن الفيلسوف البغدادى موفق الدين عبد اللطيف بن

يوسف المشهور المتوفى سنة ٦٣٩ ألف كتابا تزدان بذكره هذه الصحف وهو (الجامع الكبير فى المنطق والطبيعى والالهى) فانه كتاب مبسوط فى نحو عشر مجلدات

وأما كتاب (ينابيع العلوم) فهو لقاضى القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل بن سعادة المولى ذكر فيه انه جمع كتابا فى سبعة فنون وذكر فى كل فن منها سبع لطائف وسبعا أخرى للاذكياء أما الفنون فالتفسير والحديث والفقه والادب والطب والهندسة والحساب فهو من كتب السبعيات وفرغ من تأليفه فى سنة ٦٣٠

وللقاضى محمد بن أحمد ذى الفنون الخوبى المتوفى سنة ٦٩٣ كتاب أقاليم التعاليم فى الفنون السبعة التفسير والحديث والفقه والادب والطب والهندسة والحساب فهو يشبه كتاب ينابيع العلوم

وقد صنف ابن شبيب الحرانى الحنبلى نجم الدين أحمد بن حمدان بن شبيب المتوفى سنة ٦٩٥ كتابا فى هذا الباب سماه جامع العلوم وقد يسمى أيضا جامع الفنون

وقد سبق لنا ذكر كتاب العالم واللغة فما أجدرنا الآن بان نلحقه بكلام عن (لسان العرب) الذى شرعت المطبعة الاهلية فى طبعه فى هذا العصر وأتمت منه ستة عشر جزأ اتحفت بهم المشتركين وطلاب اللغة ثم أكدت لهم الوعد بانها ستعمل على

انجازه

انجازه فى أقرب وقت وما ذلك عليها بعزيز * ذلك الكتاب مؤلف فى اللغة على نمط الصحاح والقاموس وهو للشيخ الاجل جمال الدين أبى الفضل محمد بن مكرم الانصارى الخزرجى الافريقى المصرى المعروف بابن منظور المتوفى سنة ٧١١ أو سنة ٧١٦ الاول على قول صاحب أبجد العلوم كما رواه عند ترجمته فى الصحيفة ٧٠٧ من كتابه (١) كما نص عليه صاحب تاج العروس فى خطبة كتابه والثانى على ماحققه صاحب كشف الظنون * قال صاحب الكشف انه فى ستة مجلدات ضخام وقال صاحب تاج العروس انه ثمان وعشرون مجلدا وقال صاحب البلغة انه فى الاصل ثلاثون مجلدا * وقد اطلعت عليه فى خزانة الكتب التى بمطبعة بولاق الاهلية فاذا هو فى مجلد ضخم جدا بحرف دقيق فى غاية الجمال والنسخة فى نهاية الحفظ والبهاء موشاة بنقوش ذهبية مغلفة بجلد حوى أنواع الطرافة والمتانة وقد علمت أنها ملك كتبخانة القسطنطينية وأن الحكومة المصرية استحضرتها منها على

---

(١) ومن الغريب ان صاحب أبجد العلوم قال فى كتابه المسمى (البلغة فى أصول اللغة) ان ابن منظور ولد فى محرم سنة ٦٩٠ وتوفى سنة ٧٧١ أعنى انه أخر تاريخ الولادة ستين سنة وعمل كذلك بتاريخ الوفاة وقال صاحب تاج العروس انه ولد فى سنة ٦٣٠ فيكون قد عاش على قول الاول ٨١ سنة وعلى قول الثانى ٧٨ ولعل هذا هو منبع الخطأ الواقع فى البلغة فان مؤلفها نص فى الابجد على ان ولادته كانت فى محرم سنة ٦٣٠

سبيل العارية رغبة فى تصحيح الكتاب وطبعه على أحسن مثال وأكمل منوال وتاريخ كتابة هذه النسخة هو سنة ٦٨٠ هجرية وهذا الكتاب هو أتم المؤلفات التى صنفت فى اللغة وهو مرجع العلماء والعمدة المعول عليه بين أهل هذا اللسان وقد فاق القاموس بعشرين ألف مادة فانه يحتوى على ثمانين ألفا لايشوبها الاشئ قليل جدا من أسماء الاماكن والرجال بحيث يمكن أن يقال انه هو الجامع لاشتات هذه اللغة الضام لمتفرقاتها فضلا عما ازدان به من كثرة الشواهد التى أوردها من الكتاب الحكيم والحديث الشريف وأقوال عرب البادية تبيينا لمواقع الكلام وتعيينا لمختلف المعانى التى يتناولها اللفظ الواحد — واليك عبارة نقتطفها من خطبة الكتاب للدلالة على موضوعه والسبب فى وضعه قال (ورأيت علم اللغة بين رجلين إمامن أحسن جمعه ولم يحسن وضعه واما من أجاد وضعه ولم يجد جمعه ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من — تهذيب اللغة — لابى منصور ولا أكمل من — المحكم — وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق غير أن كلا منهما مطلب عسر المهلك ومنهل وعر المسلك وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا ومنعهم منه قد أخر وقدم وقصد أن يعرب فأعجم فأهمل الناس أمرهما وانصرفوا عنهما وليس لذلك سبب الا سوء الترتيب وتخليط التفصيل فى التبويب ورأيت الجوهرى قد

احسن

أحسن ترتيب مختصره نخف على الناس أمره فتداولوه غير انه فى جو اللغة كالذرة وفى بحرها كالقطرة وهو مع ذلك قد صحف وحرف فأتيح له الشيخ ابن برى فتتبع مافيه فاستخرت الله تعالى فى جمع هذا الكتاب على ترتيب الصحاح مضيفا اليه من آيات القرآن والاخبار والامثال والآثار والاشعار مافيه حل عقده ورأيت ابن الاثير قد جاء فى ذلك بالنهاية غير أنه لم يضع الكلمات فى محلها ولاراعى فى ذلك زوائد حروفها من أصلها فوضعت كلا منها فى مكانه وجمعت فيه ماتفرق فى كتبهم وأنا مع ذلك لا أدعى فيه شافهت أوسمعت أوفعلت أووضعت أورحلت أونقلت فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الازهرى وابن سيده لقائل مقالا ولعمرى انهما قد جمعا فأوعيا وليس لى فى هذا الكتاب فضيلة سوى انى جمعت فيه ماتفرق)

قال محمد بن أبى شريف وقد وقفت على لسان العرب بخزانة الاشرف برسباى بمدرسة الاشرفية بالقاهرة بخط مؤلفه وعليه خطوط جمع من العلماء بمدحه والثناء عليه منهم أبوحيان والشهاب محمود * وقد ورد فى البلغة نقلا عن السيد محمد مرتضى انه قال فى تاج العروس (وهو (أى لسان العرب) مادة شرحى هذا فى أغلب المواضع وقد اطلعت منه على نسخة قديمة يقال انها بخط المؤلف وعلى أول جزء منها خط

الشيخ جلال الدين السيوطى) أقول إن المذكور فى تاج العروس الذى تم طبعه فى هذه الايام هو انه اعتمد على كثير من كتب اللغة ومنها لسان العرب ثم قال ماهو بالحرف الواحد (وهى النسخة المنقولة من مسودة المصنف فى حياته الخ)

وقد كتب الشيخ الرئيس ابن سينا كتابا فى اللغة وسمه بلسان العرب فى عشرة مجلدات لكنه بقى فى المسودة ولم يظهر وقد غلط من نسب اليه كتاب ابن منظور المشهور وقال ابن أبى أصيبعة فى طبقات الاطباء عند ترجمة الشيخ الرئيس انه صنفه باصفهان ولم ينقله الى البياض ولم يوجد له نسخة ولا مثله قال ووقع الىّ بعض هذا الكتاب وهو غريب التصنيف وقال فى موضع آخر لم يصنف فى اللغة مثله ولم ينقله الى البياض حتى توفى فبقى على مسودته لايهتدى أحد الى ترتيبه وقد ذكر قبيل هذا الكلام حكايه تدل على سبب اشتغال ابن سينا باللغة حتى برع فيها و بلغ طبقة قلما يتاح مثلها لمثله فراجعها اذا شئت فى الصحيفة السابعة من الجزء الثانى من كتاب طبقات الاطباء المطبوع فى المطبعة الوهبية فى سنة ١٢٩٩ هجرية الموافقة لسنة ١٨٨٢ ميلادية

واذكر تذكرة الصفدى الاديب المشهور المتوفى سنة ٧٩٤ فقد شحنها بمسائل من جميع الفنون والعلوم لايحصيها الا الله تعالى وجمع فيها نوادر الاشعار ولطائف الادبيات نظما ونثرا

حتى جاءت فى ثلاثين مجلدا وهو يحيل عليها فى كثير من كتبه وتصانيفه

ومن كتب الموسوعات التاريخية المعتبرة كتاب (الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير) للشيخ تاج الدين على بن انجب بن الساعى البغدادى المتوفى سنة ٦٧٤ وهو تاريخ كبير فى نحو خمسة وعشرين مجلدا بلغ فيه الى آخر سنة ٦٥٦

والذيل عليه لتلميذه كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد المحدث المؤرخ الفيلسوف البغدادى الفوطى المتوفى سنة ٧٢٣ وهو كبير فى نحو ثلاثين مجلدا عمله للصاحب

وله أيضا كتاب مجمع الآداب فى معجم الاسماء والالقاب ذكر انه فى خمسين مجلدا

ولابد لنا من ذكر كلمات على كتاب (نهاية الارب فى فنون الادب) فانه تاريخ كبير فى ثلاثين مجلدا لشهاب الدين أحمد ابن عبد الوهاب النويرى الكندى المتوفى سنة ٧٣٢ ألفه فى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون أوله الحمد لله رافع السماء وفاتق رتقها ومنشئ السحاب ومؤلف ودقها الخ قال وماأوردت فيه الا ماغلب على ظنى ان النفوس تميل اليه ورتبه على خمسة فنون الاول فى السماء والآثار العلوية والارض

والعالم السفلى ويشتمل على خمسة أقسام الثانى فى الانسان وما يتعلق به ويشتمل على خمسة أقسام الثالث فى الحيوانِ الصامت ويشتمل على خمسة أقسام الرابع فى النبات ويشتمل على أربعة أقسام وذيله بقسم خامس من أنواع الطب الخامس فى التاريخ ويشتمل على خمسة أقسام

وهناك موسوعات فرضية يجمل ان ننلى بذكرها كتابنا هذا وهى (المجموع فى علم الفرائض) للشيخ أبى عبد الله شمس الدين محمد بن شرف الكلائى الفرضى الشافعى المتوفى سنة ٧٧٧ قال فيه هذه كراريس جمعت فيها الشارقية وشرحها والقواعد الصغرى وهى عشرة والمسائل الرياضية فى الفرائض وهى مائة مسئلة والمسائل الرياضية فى الحساب وهى خمسة وعشرون مسئلة والمسائل الرياضية فى الوصايا وهى مائة مسئلة ونزهة النفوس فى انكسار السهام على الرؤس وهى خمسون مسئلة وتحفة أولى النفوس الزكية فى المسائل الملكية وهى ستون مسئلة وهذا المجموع ينتفع به المبتدى والمتوسط والمنتهى وأكب الناس على الاشتغال به واعتنى به العلماء شرحا وترتيبا وتعليقا وتهذيبا

ومما ينبغى ذكره فى هذا الفصل أيضا كتاب حياة الحيوان للشيخ كمال الدين بن عيسى الدميرى الشافعى المتوفى سنة ٨٠٨ وهو كما قال صاحب الكشف كتاب مشهور فى هذا الفن جامع بين

الغث

الغث والسمين لان المصنف فقيه فاضل محقق فى العلوم الدينية
لكنه ليس من أهل هذا الفن كالجاحظ (١) وانما مقصده
تصحيح الالفاظ وتفسير الاسماء المبهمة كما قال فى أول كتابه
(هذا كتاب لم يسألنى أحد تصنيفه وانما دعانى الى ذلك أنه وقع
فى بعض الدروس ذكر مالك الحزين والذيح المنحوس فحصل
بذلك مايشبه حرب البسوس فاستخرت الله سبحانه وتعالى فى
وضع كتاب فى هذا الشأن ورتبته على حروف المعجم انتهى)

---

(١) أى يسوى بين الجهل بعلم الحيوانات وذلك لان الجاحظ رحمه الله صنف كتاب
الحيوان وقال فيه الصفدى ومن وقف على كتابه هذا وعاب تصانيفه ورأى فيها
الاستطرادات التى استطردها والانتقالات التى ينتقل اليها والجهالات التى
يعترض بها فى غضون كلامه بادنى ملابسة علم مايلزم الاديب وما يتعين عليه من
مشاركة المعارف * وقال حاجى خليفة بعد ان أورد هذه العبارة ان ما ذكره الصفدى
من اسناد الجهالات الى الجاحظ صحيح وقع فيما يرجع الى الامور الطبيعية فان
الجاحظ من شيوخ الفصاحة والبلاغة لا من اهل هذا الفن * ولكنى رأيت هذا
الكلام منقولا عن الصفدى فى كتاب قطر الغيث المسجم على لامية العجم للشيخ
عبد الرحمن الشافعى العلوانى الطبيب فانه أورده على بيان لا أول حيث قال
(ومن وقف على كتاب الحيوان للجاحظ وعاب تصانيفه ورأى تلك الاستطرادات
التى يستطردها والانتقالات التى ينتقل اليها والجمل التى يعترض بها فى غضون
كلامه ويدرجها فى أثناء عباراته بأدنى ملابسة وايسر مشابهة علم مايلزم
الاديب وما يتعين عليه من مشاركة المعارف انتهى) فان قوله الجمل التى يعترض
بها الخ أوقع فى الكلام وأنسب للمقام وأوفق للسياق من قول حاجى خليفة
(الجهالات التى يعترض بها) وحينئذ فلا محل لانتقاده وربما كانت حاجة تختلج
فى صدره فأوردها هو من غير مناسبة وان كانت حقيقية منطبقة على الواقع

وذكر أنه جمعه من خمسمائة وستين كتابا ومائة وتسعة وتسعين ديوانا من دواوين شعراء العرب وجعله نسختين كبرى وصغرى فى كبيره زيادة التاريخ وتعبير الرؤيا قول فى الابجد ومن تأمل كتاب حياة الحيوان ورأى ما أودعه فيه من الفوائد والغرائب علم فضله

ولهذا الكتاب مختصرات كثيرة وقد قال فيه بعض ملخصيه (وهو الشيخ الدماميني من تلاميذ المؤلف) إنه كتاب حسن فى بابه جمع مابين أحكام شرعية وأخبار نبوية ومواعظ نافعة وفوائد بارعة وأمثال سائرة وأبيات نادرة وخواص عجيبة وأسرار غريبة لكنه طول فى بعض أماكنه ووقع فى بعضه مالا يليق بمحاسنه فاختار منه عينا وسماه عين الحياة وأهداه الى أحد ملوك الهند * وقد اختصره الشيخ عمر بن يونس بن عمر الحنفى وذكر فيه انه اقتصر من الحيوان على خواصه ومعناه اللغوى وأضاف الى ذلك ماوجد فى خريدة العجائب ولم يخرج عن المعنى المقصود * وقال السخاوى عند الكلام على حياة الحيوان انه نفيس مع كثرة الاستطراد فيه من شئ الى شئ وأوهم أن فيه ماهو مدخول لما فيه من المناكير وقد جرده الناسى ونبه على أشياء مهمة يحتاج الاصل اليها انتهى * وقد اختصره السيوطى أيضا وقال انه حذف من حشوه كثيرا وعوض منه أمرين أحدهما زيادة فائدة فى الحيوان الذى

ذكره

ذكره والثاني ذكر مافاته من الحيوان ملتقطا من كتب اللغة وسماه ديوان الحيوان وقد ترجم هذا الكتاب بزيادات الى اللغة التركية للسلطان سليم القديم

وللشيخ شرف الدين بن المقرى اسمعيل بن ابى بكر اليمنى المتوفى سنة ٨٣٧ كتاب اسمه (عنوان الشرف الوافى فى الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافى) وهو على ما فى كشف الظنون كتاب بديع الوصف فى مجلد صغير أوله الحمد لله ولى الحمد ومستحقه الخ وذكر السخاوى ان سبب تأليفه انه كان يطمع فى قضاء الاقضية بعد المجد الشيرازى صاحب القاموس و يتحامل عليه بحيث ان المجد عمل للسلطان الاشرف صاحب اليمن كتابا اول كل سطر منه ألف فاستعظمه السلطان فعمل الشرف هذا كتابه هذا والتزم ان يخرج من أوله وآخره ووسطه علوما غير الفقه الذى وضع الكتاب له لكنه لم يتم فى حياة الاشرف فقدم لولده الناصر فوقع عنده وعند سائر علماء عصره ببلده موقعا عجيبا وهو مشتمل مع الفقه على نحو وتاريخ وعروض وقواف * وفى المنهل لم يسبق اليه مثله يحتوى على فنون خمسة من العلوم فاول أسطره بالحمرة عروض وما هو بعده بالحمرة أيضا تاريخ دولة بنى رسول وما هو بين التاريخ وأواخر السطور بالحمرة نحو وأواخر السطور قواف وقال السيوطى وقد عملت كتابا على هذا النحو فى كراسة

فى يوم واحد وسميته النفحة المسكية والتحفة المكية * وقد ألفه فى مكة وفيه نحو وبديع ومعان وعروض أوله أحمد الله المبدئ المرجع الخ فجاء فى مائة وستة وستين سطرا وصنف القاضى بدر الدين محمد بن محمد المعروف بابن كميل الدمياطى المتوفى سنة ٨٧٨ على نمط عنوان الشرف بزيادة علمين وذكر ان لابن المقرى خمسة ابيات من نظمه ان قرئت طردا كانت مدحا أو عكسا كانت ذما وان ابن المقرى تبجح بها لعدم سبقه فنظم ستة وأربعين بيتا كذلك

وقد شرعت مطبعة المقتطف فى طبع عنوان الشرف فجزاها الله عن الآداب خيرا وقد رأيت نسخة منه مطبوعة فى احدى مطابع حلب منذ قليل من السنوات

هذا وقد رأيت لعبدالله افندى الوصاف كتابا حرره مضاهيا به عنوان الشرف وقد طبع فى دار الطباعة العامرة فى مدينة القسطنطينية المحمية فى سنة ١٢٧٩ هجرية فجاء فى احدى عشرة صحيفة باعتبار كل صحيفتين واحدة لان من قرأ الرسالة الفقهية التزم ان يقرأ السطر الاول من الصحيفة الاولى والاول من الصحيفة الثانية ثم الثانى من الصحيفة الاولى وهو من الصحيفة الثانية وهكذا وهذه الرسالة الجليلة موضوعة فى علم الفقه وسطورها أفقية مستوية كالعادة فى طبع الكتب وعليها ستة سطور عمودية فيها كلمات مفردة هى سائرة مع السطور

المستوية

المستوية ولكنها اذا جمعت فى السطر العمودى الاول وتليت كانت عبارة عن متن فى الحكمة وفى العمود الثانى متن من المنطق وفى الثالث متن من الكلام وفى الرابع متن من النحو وفى الخامس حكاية فارسية والسادس حكاية تركية

وكان المؤلف رحمه الله منتصبا فى مسند المشيخة الجليل على عهد ساكن الجنان المرحوم السلطان عثمان خان الثالث واشتهر فى عصره بالعلم والمعرفة والادب واللطف وكان تأليفه لهذا الكتاب فى أيام شبابه فى سلطنة المرحوم السلطان الغازى أحمد خان الثالث وصدارة المرحوم ابراهيم باشا

ولمحمد بن أحمد بن الياس الحنفى كتاب اسمه الدر المكنون فى سبع فنون رتبه على سبعة أبواب فن الاشعار البديعة وفن الدوبيت وفن الموشحات وفن المواليا وفن الكان وفن القوافى وفن الازجال والخاتمة فيما قيل فى الحماق وقد فرغ من تأليفه فى رجب سنة ٩١٢ وهو أيضا من الكتب السبعيات

وكتاب الوشى المصون واللؤلؤ المكنون فى علم الخط الذى بين الكاف والنون وهو عبارة عن موسوعات واسعة فى علم الجفر والحروف أورد فيها مؤلفها ستمائة علم وثلاثة وعشرين علما وصاحب هذا الكتاب هو رجل اسمه أحمد بن محمد صنفه للملك المظفر

ونظير هـذا كتاب العلم المخزون فى علم الخواص وهو مجلد على أجزاء مشتمل على ثلاثمائة كتاب كما قيل

ومثله (عيون الحقائق وكشف الطرائق) ذكره فى الجفر وهو على ثلاثين بابا كل باب فى علوم غريبة وجعل فيه ساسانية ونيرنجيات وشعبذه ونحو ذلك وخواص أدوية مفردة * ومثله الجامعة وهو كتاب فى الجفر منسوب الى الامام جعفر الصادق

وثم كتاب اسمه فرائد الفوائد فى فنون غير واحد لاحمد بن على ابن احمد بن داود البلوى ولانعلم عنه شيأ غير اسمه

ومثله (المجموع اللفيف) للشريف أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله الحسينى الافطسى النسابة جمع فيه النوادر والفوائد من كل فن لاعلى ترتيب

ومثلهما مجمع الفرائد ومنبع الفوائد للشيخ تقى الدين بن على المقريزى المؤرخ المتوفى سنة ٨٤٥ كل منه نحو ثمانية مجلدات كالتذكرة

وقد تقدم لنا ذكر شئ من الكتب السبعيات فنتبعها الآن بكتاب من الثمانيات وهو (مدينة العلم) لمحمد بن أحمد المعروف بحافظ عجم المتوفى سنة ٩٥٧ جعله على ثمانية أقسام أوردفى كل قسم منها اعتراضا على ثمانيـة من الفحول كالزمخشرى والبيضاوى والتفتازانى والسيد وصاحب الهداية وأمثالهم

واعلم ان كتب التفسير الكبيرة كلها اومعظمها يمكن ادراجها

فى ضمن الموضوعات الخاصة وذلك لان الكتاب المجيد جاء حاويا لكل طرف من المعقول والمنقول جامعا لانواع العلوم وأشتات الفنون وحسبنا برهانا على ذلك قوله عز وجل (مافرطنا فى الكتاب من شئ) وهذه قضية ثابتة وحقيقة واضحة قد تقررت فى الاذهان ولا تحتاج الآن الى البيان ولذلك اتسع المجال أمام أئمة التفسير فغاصوا بحار المعارف وجاسوا خلال الفنون وقيدوا ما وصلوا اليه فى كتبهم الجليلة حتى استفاضت فيها ينابيع الحكمة واستطالت أفنان الفنون وأخصها بالذكر كتاب مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير للامام الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ فانه تعمق فى مباحثه ونظر فى العلوم بجميع أنواعها ولم يقتصر على بيان المعانى القرانية والالفاظ الغريبة والعبارات الغامضة وهذا ليس بالامر الذى يستغرب من الرازى رحمه الله فان له عدة موضوعات مهمة ذكرنا بعضها فيما تقدم وكلها تدل على فضل الرجل وسعة اطلاعه ولقد قال فى مقدمة التفسير المذكور (إنه مر على لسانى فى بعض الاوقات ان سورة الفاتحة يمكن ان يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسئلة فاستبعد هذا بعض الحساد وقوم من أهل الجهل والغى والعناد وحملوا ذلك على ما ألفوه من نفوسهم من التعلقات الفارغة عن المعانى والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمبانى فلما شرعت فى هذا الكتاب

قدمت هذه المقدمة لتصير كالبينة على ان ماذكرناه أمر ممكن الحصول قريب الوصول) ثم بين كيفية هذا الاستنباط بترتيب عجيب ولهتفسير الفاتحة فى مجلدين سماه مفاتيح العلوم

ومن جملة التفاسير التى تستحق الذكر أيضا تفسير ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ قال السيوطى فى الاتقان وكتابه أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الاقدمين اه وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى وقال أبو حامد الاسفرايني (١) لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا وروى ان ابن جرير هذا قال لاصحابه أتنشطون لتفسير القرآن قالوا كم يكون فقال ثلاثين ألف ورقة فقالوا هذا مما يفنى الاعمار قبل تمامه فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة

---

(١) نسبة الى اسفراين وهى بكسر الهمزة وياء واحدة كما ضبطها ابن خلكان وبفتح الالف وياءين تحتيتين كما ضبطها ياقوت وقد قال فى القاموس ما نصه (اسفراين بكسر الهمزة والمثناة التحتية بلد بخراسان) وفى هذا المقام قال الشيخ نصر الهورينى ما نصه (قوله اسفراين بكسر الهمزة الخ الذى فى الشهاب على الشفاء اسفرائن بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء والراء وألف بعدها همزة مكسورة ونون بلدة بالعجم نسب اليها أئمة واذا أطلق الاسفرائنى فالمراد به الامام الاصولى المتبحر فى سائر العلوم المعروف بالزهد والورع وهو أبو اسحق الخ لكن الذى فى ابن خلكان ياء حقيقية لا همزة اه

ذكره ابن السبكي في طبقاته وقد ترجمه بعضهم الى الفارسية لمنصور بن نوح الساماني * ومثله تفسير الامام الحافظ قوام السنة أبي القاسم اسماعيل بن محمد الاصبهاني المتوفى سنة ٥٣٥ المسمى بالجامع في التفسير وهو مبسوط في نحو ثلاثين مجلدا

وكذلك تفسير الامام الجويني أبي محمد عبد الله بن يوسف النيسابوري الشافعي المتوفى سنة ٤٣٨ وهو كبير فسر فيه كل آية بعشرة أوجه ولذا قال الداودي المالكي في طبقات المفسرين انه يشتمل على عشرة أنواع من العلوم في كل آية

وقد فسر بعض العلماء القرآن الكريم في منظومة كبيرة جدا تبلغ مائة ألف بيت وثمانية آلاف بيت ولكن كثيرا من العلماء أنكروا عليه ذلك واستهجنوا منهجه

وهذه الكتب التي ذكرناها لك كلها على طريق السنة ولا يخفى ان الشيعة لهم كتب خاصة بهم تنطبق على مذهبهم ومن ذلك كتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن) للشيخ فقيه الشيعة ومصنفهم أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المتوفى سنة ٥٦١ قال حاجي خليفة انه رآه وانه على طريق الشيعة وقد اختصر الكشاف وسماه جوامع الجوامع

وهنالك كثير من الشروح التي تستحق الذكر في هذا المقام لتوسع أصحابها في شرح المتون التي عنوا بها واستطرادهم في بيان العلوم والمعارف لاقل مناسبة وعلاقة نذكر من ذلك

أهمها وأتمها وهو شرح كتاب نهج البلاغة المنسوب الى سيدنا على كرم الله وجهه فان الامام عز الدين بن هبة الله المدائنى الكاتب الشاعر الشيعى المشهور شرحه شرحا ضافى الذيول حتى بلغ عشرين مجلدا وتوسع فى المسائل والمباحث توسعا كثيرا ونسب العلوم كلها الى سيدنا على كرم الله وجهه وبين كيف أنها تستمد من نهج البلاغة وهو شرح معتبر جدا ويوجد منه نسخة جليلة بخط اليد محفوظة فى الكتبخانة الخديوية العامرة وقد طبع فى بلاد الهند * وقد ترجم العلامة دوساسى الفرنساوى (فى الجزء الاول من كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور) اسم هذا الكتاب بما يشعر أنه موضوع فى علوم البلاغة حيث قال ان عز الدين هذا شرح فى عشرين مجلدا كتاب علوم البلاغة المسمى بنهج البلاغة وهو وهم يعرفه من له أقل اطلاع على هذا الكتاب

ومثل ذلك أيضا مقصورة ابن دريد صاحب جمهرة اللغة المتوفى سنة ٣٢١ وتشتمل على ٢٢٩ بيتا فى المدح والوصف والتشوق الى الاخوان وقد نالت من التفات العلماء حظا كبيرا فقد اعتنى بشرحها خلق كثيرون وأجود شروحها وأبسطها شرح الفقيه أبى عبد الله المعروف بابن هشام اللخمى وسماه الفوائد المحصورة فى شرح المقصورة قال فيه رأيت كثيرا من أهل الادب قد صرفوا لمقصورة ابن دريد عنايتهم واهتمامهم لسهولة

الفاظها ونبل أغراضها واشتمالها على نحو الثلث من المقصور ولما ضمنها من المثل السائر والخبر النادر والمواعظ الحسنة والحكم البالغة وقد عارضه فيها جماعة من الشعراء فما شقوا غباره ولا بلغوا مضماره وهو عند أهل الادب أشعر العلماء وأعلم الشعراء وانتدب جماعة قديما وحديثا لشرح مقصورته فمنهم المسهب المملّ والمختصر المخلّ * وقد شرحها شرحا متوسطا أودع فيه لطائف من العلم وأبوابا من الادب

ومن هذه الشروح المهمة أيضا كتاب الغيث المسجم فى شرح لامية العجم للصفدي فانه أفاض فى ذكر العلوم العربية والفلسفية وأتى بلمع وافية من علم الكيمياء عند القدماء ومن علم الافلاك ومن فنون الادب وشجون العجم والعرب وذكر فيه شيأ كثيرا على طريق الاستطراد فصار مشحونا بغرائب الجد والهزل وعلى هذا الشرح حاشية وقال بعضهم فى وصفه إن الصفدى لايغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائدها (أى من فوائد لامية العجم) الا أظهرها غير أنه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة كانه تمسك بقول القائل

لايصلح النفس ان كانت مولية * الا التنقل من حال الى حال

فهو غريب فى بابه عزيز عند طلابه وقال غيره ان الصفدى شرحها فأوعى وأوعب وأطنب وأسهب وأعجب وأغرب وأطلق أعنة الاقلام وجر أذيال فضول الكلام وأسهل وأوعر وأنجد

وغور واستطرد من فنون الى فنون واسترسل فى شجون الجد والمجون حتى صار ذلك التطويل سببا للعجز عن التحصيل هذا مع ماخرج فيه عن الحد وطغا الماء المد من مستهجنات هزله التى لاتليق بعلمه وفضله مما لايحل ذكره وايداعه بل تخل بالعدالة روايته وسماعه

وهنالك كتب كثيرة تدخل فى عداد هذه الانواع ولكن يكل عن حصرها واستيفائها اليراع فلذلك نضرب عنها صفحا ونطوى على بقيتها كشحا خوفا من الاطالة والملالة ونتكلم على اخوان الصفا كما وعدنا فان اكمال الوعد من كمال العيد

فصل

﴿ فى رسائل اخوان الصفا ﴾

قد رأيت أن أطيل القول على هذا الكتاب وأوفيه حقه من الشرح والبيان لمناسبة انتشاره واشتهاره على إثر طبعه حديثا بالهند وبمصر بعد أن لم يكن يوجد منه سوى نسخ تعد على الاصابع ولعمرى انه جدير بالعناية لانه يدلنا على حالة المعارف العقلية عند العرب بعد انتشار الدين الاسلامى الجليل بزمن قليل

اشتهر هذا الكتاب بين بنى الآداب وعلا قدره وطار صيته

حتى صار موضوعا لحديث القوم فى كل ناد يهيمون بالمذاكرة فى تاريخه وأصله فى كل واد وما تجلت عرائس الحقيقة الا النفر من نخبة الافاضل المدققين فاستجلوها وضنوا بها على المتسائلين فحملنى ذلك على التنقيب فى دفاتر الاوائل والأواخر حتى تيسر لى بعون الله جمع خلاصة تميط النقاب عن حقيقة هذا الكتاب فأقول

لم يظهر بدر هذا الكتاب فى أفق المعارف حتى تزاحم عليه الناس من جميع الطبقات والمذاهب وعنوا بقراءته والاعجاب به مدة طويلة من الزمان ولقد شغفوا بمعرفة مؤلفيه لكونهم كتموا أسماءهم فزادوا بذلك فضل الكتاب واهتمام الباحثين حتى بلغ صيته المشارق والمغارب وتنبه اليه العلماء وقدروه حق قدره فقد رأيت أثناء مطالعاتى ومراجعاتى عبارة فى ترجمة الطبيب ابى الحكم الكرمانى القرطبى أحد الراسخين فى علم العدد والهندسة فى كتاب عيون الانباء فى طبقات الاطباء نقلا عن القاضى صاعد وهى « ... ورحل الى ديار المشرق وانتهى منها الى حرّان من بلاد الجزيرة ..... ثم رجع الى الاندلس واستوطن مدينة سَرَقُسْطَة من ثغرها وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل اخوان الصفاء ولا نعلم أحدا أدخلها الاندلس قبله »

فهذا القول يدل على جليل مكانتها وعظيم أهميتها التى جعلت العلماء يقيدون تاريخ دخولها واسم من أتى بها فى ربوع العلم بالاندلس وسنستعين به فيما سيجئ معنا من التحقيق الدقيق ان شاء الله

ولقد عرف حكماء الافرنج وجهابذتهم مقامها فاحلوها محلها الرفيع واعتنوا بالتنويه بها والتنبيه عليها وكان السابق لهم فى حلبة هذا المضمار العلامة سلفستر دوساسى المشهور فانه كتب عليها خلاصة وجيزة باللغة الفرنساوية

وقد طبعت هذه الرسائل فى سنة ١٨١٢ مسيحية بمدينة كلكتة بالهند تحت عنوان (تحفة اخوان الصفاء) والذى راجعها وباشر طبعها هو الشيخ أحمد بن محمد شروان اليمنى

وفى سنة ١٨٣٧ طبع العلامة نوفرلك فى برلين خلاصة على رسائل اخوان الصفاء تكلم فيها عليهم وعلى كتابهم ونقل منها شيأ باللغة العربية وامامه ترجمته بالالمانية

وللمعلم فريدرخ ديتريصى الالمانى كتاب فى ثمانية اجزاء بحث فيه عن العلوم الفلسفية عند العرب فى القرن العاشر للمسيح (القرن الرابع للهجرة) واعتمد فى كتابه كله على رسائل اخوان الصفاء وقد طبعه فى برلين من سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٧٩

أقول انه أشبه فى صنيعه هذا رجلا من الخراسانيين ألف

كتابا عنوانه (مجمل الحكمة) واليك ماقاله صاحب الكشف عنه «فارسى فى حكمة الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات والالهيات وأكثره رموز انتخبه رجل من الخراسانيين بحذف الحشو وايضاح الرمز كما فى رسائل اخوان الصفاء ونقله بعضهم من الفارسى الى التركى»

واعلم ان المعلم ديتريصى المذكور قدطبع فى سنة ١٨٨٦ بمدينة برلين كتابا اسمه (خلاصة الوفاء فى اختصار رسائل اخوان الصفاء) وباشر تصحيحه فانه من المتجرين فى الفنون واللغات المشرقية واليك ماقاله فى آخر الكتاب بحروفه «ان النسخات التى نقل عنها هذا الكتاب كثيرة التحريف والتصحيف وهو يشتمل على زبدة الكتاب وخلاصة مايلزم معرفته من مواده» وهو مرتب على غير ترتيب الكتاب الاصلى لان مختصره (١) راعى فى ذلك اسلوبا احسبه أجود وأفضل من الاول وادخل فى باب الكمال

فانه ابتدأ بالكلام على مبادئ الموجودات وأصول الكائنات ثم نضد العالم فالهيولى والصورة فماهية الطبيعة فالارض والسماء ثم اعقب ذلك بالكلام على وجه الارض والتغييرات فيه

(١) لم نعثر على اسم الذى اختصر الكتاب ولكن الطريقة التى اتبعها فى الترتيب تدل على زيادة فضله وغزارة علمه

ثم الكون والفساد ثم فى الآثار العلوية ثم السماء والعالم ثم شرح الاسطرونوميا الذى هو علم النجوم ثم تكوين المعادن ثم علم النبات ثم أوصاف الحيوانات ثم مسقط النطفة وكيفية رباط النفس بها ثم تركيب الجسد ثم الحاس والمحسوس ثم العقل والمعقول ثم الصنائع العملية ثم الصنائع العلمية ثم العدد وخواصه يعنى الارثماطيقى ثم الجومطريقى (الذى هو علم الهندسة) ثم الموسيقى ثم علم النسب العددية والهندسية والتأليفية ثم المنطقيات فعانى الالفاظ العشرة (المعروفة بالمقولات العشرة) ثم قاطيغورياس وبارى ارمينياس وأنولوطيقا الاولى وأنولوطيقا الثانية ثم بيان اختلاف الاخلاق ثم طبيعة العدد ثم تكلم على ان العالم انسان كبير وان الانسان عالم صغير ثم شرح الاكوان والادوار وتكلم على ماهية البعث والنشور والقيامة وأفاض بعد ذلك فى الكلام على أجناس الحركات والعلل والمعلولات والحدود والرسوم حتى تخلص الى بيان اعتقاد اخوان الصفاء وكيفية عشرتهم ثم أورد فى آخر الكتاب فهرست الرسائل وماهية اغراض اخوان الصفاء

وهذا كله دليل كاف يعلمك بمكانتها من نفوس العلماء ومقامها عند جمهور الفضلاء فى مشارق الارض ومغاربها

ولايعزب عن بال القارئ الأبيب ان الاعمال العظام والتآليف

المعتبرة

المعتبرة ونوابغ الرجال قد كانت وستكون فى جميع الازمان والبلاد عرضة لسهام الطعن والانتقاد ولا تكاد تخلو من ذلك أمة من الامم والشواهد كثيرة ليس هذا محل بيانها بل ان هذه حقيقة مقررة لا ينكرها الا من يطلب الدليل على ثبوت النهار وتلك هى سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا اذا ثبت ذلك فاعلم ان هذه الرسائل حازت قبولا كثيرا عند جماعة من الناس كما استوجبت لاصحابها السخط واللعنة عند فريق آخرين ونحن لا نتشيع لاحد المذهبين بل نترك الحكم لمن يطلع عليها فى ابداء رأيه والانتصار لاربابها أو التحامل عليهم ونورد له كلاما يعينه على تعيين حكمه ويرشده فى أمره

فأكبر دليل على عناية العلماء بالتنقير والتنقيب عن أمر هذه الرسائل هو ما رأيته اثناء البحث والمراجعة فى كتاب تراجم الحكماء للوزير جمال الدين أبى الحسن القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ المترجم فى كتاب الخطط الجديدة التوفيقية فانه افرد لها فصلا مخصوصا فى حرف الالف (١) كأنها اسم أحد الفلاسفة الذين أتى على ذكر أخبارهم وأحوالهم فى كتابه وقد أوردفى

(١) وكذلك فعل صاحب كشاف اصطلاحات العلوم فانه افرد لها كلاما فى حرف الالف اورده باللغة الفارسية وهذه ترجمته (هم جماعة من الاصدقاء العقلاء والاخوان الالباء خلوا من شوائب الكدورات البشرية وتحلوا باوصاف الكمالات الروحانية) واعلم انه يصف بذلك اخوان الصفاء على العموم

هذا الفصل كلاما طويلا ضمنه الرسالة (١) التى كتبها أبو حيان التوحيدى الى الوزير صمصام الدولة فانها تحتوى على

(١) العجب كل العجب انى رأيت هذه الرسالة منقولة بالحرف الواحد فى العدد الحادى عشر من السنة الثامنة من جريدة روضة المدارس وان محررها حضرة على بك فهمى نجل العلامة المخلد الأثر رفاعة بك وقد صدر بها هذا العدد وقال انها علم تحرير الروضة مع انها موجودة فى كتاب تراجم الحكماء المحفوظ بالكتبخانة الخديوية ولا أعلم كيف جوز لنفسه ان يثبت فى الروضة هذه العبارة (ولم أزل شديد البحث والتطلب لذكر مصنفها حتى وقفت على كلام لابى حيان التوحيدى الخ) فان البحث والتطلب يجوز حصوله منه ولكن السابق له القفطى وتلك هى عبارته بالحرف الواحد فهل يصح ان نقول انه ورد على خاطر محرر الروضة ان يكشف عن أمر رسائل اخوان الصفاء كما سنح ذلك للقفطى من قبل ثم لم يفتح عليه بغير العبارة التى أوردها القفطى كلمة كلمة وحرفا حرفا بل هل يعقل ان فكرهما توارد على ايراد الديباجة بصورة واحدة ومعنى واحد . ان صح ذلك كان حقيقة من أغرب الغرائب التى يسمع بها الانسان بل نقول عنها حديث خرافة يا أم عمرو . والذى أذهب اليه ان محرر الروضة نقل الرسالة برمتها من كتاب تراجم الحكماء وأثبتها فى جريدته من غير أن يغير فيها حرفا واحدا . يدلك على ذلك انه ختمها بهذه العبارة (قال المؤلف ثم ان أبا حيان ذكر تمام المناظرة بينهما فتركته اذ ليس ذلك من شرط هذا التأليف انتهى) مع انه لم يشر الى المؤلف ولا الى المؤلف فحتى وصل القارئ الى هذه العبارة اختلط عليه الكلام وداخلته الريبة وظن أن فى الامر دخيلة والحقيقة ان هذه العبارة بحذافيرها القفطى نقلها من الكتاب الذى أشار اليه بقوله (ولم أزل شديد البحث والتطلب . . . حتى وقفت على كلام لابن حيان الخ) فان ذلك يشعر بانه نقلها من كتاب وان لم يصرح باسمه فجاء صاحب الروضة ونقلها كما هى وياليته اختصر هذه الرسالة وتصرف فيها بما كان يجعله آمنا من التعقب والمؤاخذة ولكن السهم نفذ

ايضاحات

ايضاحات وارشادات مفيـدة فى بابها ولابد منها لكل من طاب الوقوف على حقيقة هذه الرسائل وهذه هى

(اخوان الصفا وخلان الوفا)

هؤلاء جماعة اجتمعوا على تصنيف كتاب فى أنواع الحكمة الاولى ورتبوه مقالات عدتها احدى وخمسون مقالة خمسون منها فى خمسين نوعا من الحكمة والحادية والخمسون جامعة لانواع المقالات على طريق الاختصار والايجاز وهى مقالات مشوقات غير مستقصاة ولاظاهرة الادلة والاحتجاج وكانها للتنبيه والايماء الى المقصود الذى يحصل عليه الطالب لنوع من أنواع الحكمة ولما كتم مصنفوها أسماءهم اختلف الناس فى الذى وضعها فكل قوم قالوا قولا بطريق الحدس والتخمين فقوم قالوا هى من كلام بعض الائمة من نسل على بن أبى طالب كرم الله وجهه واختلفوا فى اسم الامام الواضع لها اختلافا لايثبت له حقيقة وقال آخرون هى تصنيف بعض متكلمى المعتزلة فى العصر الاول ولم أزل شديد البحث والتطلب لذكر مصنفيها حتى وقفت على كلام لابى حيان التوحيدى جاء فى جواب له عن أمر سأله عنه الوزير صمصام الدولة ابن عضد الدولة فى حدود سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة وصورته قال أبو حيان حاكيا عن الوزير المذكور : حدثنى عن شئ هو

أهم من هـذا الحق وأخطر على بالى انى لاأزال أسمع من زيد ابن رفاعـة قولا يريبنى ومذهبا لاعهدلى به وكناية عمالا أحققه واشارة الى مالايتوضح شئ منه يذكر الحروف ويذكر اللفظ ويزعم ان الباء لم تنقط من تحت واحـدة الالسبب والتاء لم تنقط من فوق اثنتين الالعلة والالف لم تهمل الالغرض واشباه هـذا وأشهد منـه فى عرض ذلك دعوى يتعاظم بها و ينتفخ بذكرها فما حـديثه وماشأنه ومادخلته فقـد بلغنى ياأبا حيان انك تغشاه وتجلس اليه وتكثر عنـده ولك معـه نوادر عجيبة ومن طالت عشرته لانسان صدقت خبرته وأمكن اطلاعه على مستكن رأيه وخافى مذهبه فقلت أيها الوزير أنت الذى تعرفه قبلى قديما وحديثا لاختبار ولاستخدام وله منك الامرة القديمة والنسـبة المعروفة قال دع هـذا وصفه لى فقلت هناك ذكاء غالب وذهن وقاد ومتسع فى قول النظم والنثر مع الكتابة البارعة فى الحساب والبلاغة وحفظ أيام الناس وسماع المقالات وتبصر فى الآراء والديانات وتصرف فى كل فن اما بالشد الموهم واما بالتوسط المفهـم واما بالتناهى المتقدم (١) قال فعلى هـذا مامذهبـه قلت لاينسب الى شئ ولا يعـرف له حال حيث انه

(١) اذا كانت هـذه صفة زيد بن رفاعه وهو أحد اخوان الصفاء بل خادمهم كما سيجئ فى بقيـة الكلام فما بالك باخوان الصفاء أنفسهم . لاجرم انهم كانوا على جانب عظيم من الفضل والعلم

تكلم

تكلم فى كل شئ وغليانه فى كل باب ولاختلاف مايبدو من بسطته ببيانه وسطوته بلسانه وقد أقام بالبصرة زمانا طويلا وصادق بها جماعة لاصناف العلم وأنواع الصناعة منهم أبو سليمان محمد بن مشعر البستى ويعرف بالمقدسى وأبو الحسن على هارون الزنجانى وأبو أحمد المهرجانى والعوفى وغيرهم وصحبهم وخدمهم وكانت هذه العصابة قد تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله وذلك انهم قالوا ان الشريعة قددنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال وصنفوا خمسين رسالة فى جميع أجزاء الفلسفة علميا وعمليا وأفردوا لها فهرسة وسموها رسائل اخوان الصفا وكتموا فيها أسماءهم وبثوها فى الوراقين ووهبوها للناس وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق المموهة قال الوزير فهل رأيت هذه الرسائل قلت قد رأيت جملة منها وهى مبثوثة من كل فن بلا اشباع ولا كفاية وهى خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات وحملت عدة منها الى شيخنا أبى سليمان

المنطق (١) السجستانى محمد بن بهرام وعرضتها عليه فنظر فيها أياما وتبحرها طويلا ثم ردها علىّ وقال تعبوا وما أغنوا ونصبوا وما أجروا وحاموا وما وردوا وغنوا وما أطربوا ونسجوا فهلهلوا ومشطوا ففلفلوا ظنوا مالا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ظنوا أنهم يمكنهم ان يدسوا الفلسفة التى هى علم النجوم والافلاك والمقادير والمجسطى وآثار الطبيعة والموسيقى الذى هو معرفة النغم والايقاعات والنقرات والاوزان والمنطق الذى هو اعتبار الاقوال بالاضافات والكميات والكيفيات فى الشريعة وان يربطوا الشريعة فى الفلسفة وهذا مرام دونه جذد وقد تورّك على هذا قبل هؤلاء قوم كانوا أحدّ أنيابا وأحضر أسبابا وأعظم أقدارا وأرفع أخطارا وأوسع قوى وأوثق عرى فلم يتم لهم ماأرادوه ولابلغوا منه ماأملوه وحصلوا على لوثات قبيحة ولطخات وانضحة موحشة وعواقب مخزية فقال له البخارى بن العباس ولم ذلك أيها الشيخ فقال ان الشريعة مأخوذة عن الله عزوجل بواسطة السفير بينه وبين الخلق من طريق الوحى وباب المناجاة وشهادة الآيات وظهور المعجزات وفى أثنائها مالاسبيل الى البحث عنه والغوص فيه ولابد من التسليم المدعو اليه والمنبه عليه وهنالك يسقط لم

(١) هو الذى اقتبس عنه أبوحيان أشياء كثيرة فى كتابه المعروف بالمقابسات فراجع هذا الكتاب تعلم فضل الرجل ومكانه من العلم

ويبطل

ويبطل كيف ويزول هلا ويذهب لو وليت فى الريح لان هذه المواد عنها محسومة وجملتها مشتملة على الخير وتفصيلها موصول على حسن التقبل وهى متداولة بين متعلق بظاهر مكشوف وصحيح بتأويل معروف وناصر باللغة الشائعة وحام بالجدل المبين وذاب بالعمل الصالح وضارب للمثل السائر وراجع الى البرهان الواضح ومتفقه فى الحلال والحرام ومستند الى الاثر والخبر المشهورين بين أهل الملة وراجع الى اتفاق الامة ليس فيها حديث المنجم فى تأثيرات الكواكب وحركات الافلاك ولا حديث صاحب الطبيعة الناظر فى آثارها وما يتعلق بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وما الفاعل وما المنفعل منها وكيف تمازجها وتنافرها ولا فيها حديث المهندس الباحث عن مقادير الاشياء ولوازمها ولا حديث المنطقى الباحث عن مراتب الاقوال ومناسب الاسماء والحروف والافعال قال فعلى هذا كيف يسوغ لاخوان الصفا ان ينصبوا من تلقاء أنفسهم دعوة تجمع حقائق الفلسفة فى طريق الشريعة على ان وراء هذه الطوائف جماعة أيضا لهم مأخذ من هذه الاغراض كصاحب العزيمة وصاحب الكيمياء وصاحب الطلسم وعابر الرؤيا ومدعى السحر ومستعمل الوهم فقال ولو كانت هذه جائزة لكان الله تعالى ينبه عليها وكان صاحب الشريعة يقوم شريعته بها ويكملها باستعمالها

ويتلافى نقصها بهذه الزيادة التى تجدها فى غيرها أو بعض المتفلسفين على ايضاحها بها يتقدم اليهم باتمامها و يفرض عليهم القيام بكل مايذب عنها حسب طاقتهم فيها ولم يفعل ذلك بنفسه ولا وكله الى غيره من خلفائه والقائمين بدينه بل نهى عن الخوض فى هذه الاشياء وكره الى الناس ذكرها وتوعدهم عليها وقال من أتى عرافا أوكاهنا أومنجما يطلب غيب الله منه فقد حارب الله ومن حارب الله حرب ومن غالبه غلب وحتى قال لوان الله حبس عن الناس القطر سبع سنين ثم أرسله لاصبحت طائفة كافرين يقولون مطرنا بنوء المجدح وهذا كان يرى والمجدح الدبران ثم قال ولقد اختلفت الامة ضروبا من الاختلاف فى الاصول والفروع وتنازعوا فيها فنونا من التنازع فى الواضح والمشكل من الاحكام والحلال والحرام والتفسير والتأويل والعيان والخبر والعادة والاصلاح فما فزعوا فى شئ من ذلك الى منجم ولا طبيب ولا منطقى ولا هندسى ولا موسيقار ولا صاحب عزيمة وشعبذة وسحر وكيمياء لان الله تعالى تمم الدين بنبيه صلى الله عليه وسلم ولم يحوجه بعد البيان الوارد بالوحى الى بيان موضوع بالرأى وقال وكما لم تجد هذه الامة تفزع الى أصحاب الفلسفة فى شئ من أمورها فكذلك ماوجدنا أمة موسى صلى الله عليه وسلم وهى اليهود تفزع الى الفلاسفة فى شئ من دينها وكذلك أمة عيسى صلى الله

عليه وسلم وهى النصارى وكذلك المجوس قال ومما يزيدك وضوحا ان الامة اختلفت فى آرائها ومذاهبها ومقالاتها فصارت أصنافا فيها وفرقا كالمعتزلة والمرجئة والشيعة والسنية والخوارج فما فزعت طائفة من هذه الطوائف الى الفلسفة ولا حققت مقالتها بشواهدهم وشهاداتهم وكذلك الفقهاء الذين اختلفوا فى الاحكام من الحلال والحرام منذ ايام الصدر الاول الى يومنا هذا لم نجدهم تظاهروا بالفلاسفة واستنصروهم وقال وأين الآن الدين من الفلسفة وأين الشئ المأخوذ بالوحى النازل من الشئ المأخوذ بالرأى الزائل فان أدلوا بالعقل فالعقل موهبة الله جل وعز لكل عبد ولكن بقدر مايدرك به مايعلوه كما لايخفى عليه مايتلوه وليس كذلك الوحى فانه على نوره المنتشر وبيانه المتيسر قال ولو كان العقل يكتفى به لم يكن للوحى فائدة ولا غناء على ان منازل الناس متفاوتة فى العقل انصباؤهم مختلفة فيه فلو كنا نستغنى عن الوحى بالعقل كنا كيف نصنع وليس العقل بأسره لواحد منا وانما لجميع الناس فان قال قائل بالعنت والجهل كل عاقل موكول الى قدر عقله وليس عليه ان يستفيد الزيادة من غيره لانه مكفى به وغير مطالب بما زاد عليه قيل له كفاك عارا فى هذا الرأى انه ليس لك فيه موافق ولا عليه مطابق ولواستقل انسان واحد بعقله فى جميع حالاته فى دينه ودنياه لاستقل أيضا بقوته

فى جميع حاجاته فى دينه ودنياه ولكان وحده يفى بجميع
الصناعات والمعارف وكان لايحتاج الى أحد من نوعه وجنسه
وهذا قول مرذول ورأى مخذول قال البخارى فقد اختلفت
أيضا درجات النبوة بالوحى واذا ساغ هذا الاختلاف بالوحى ولم
يكن ذلك ثالما له ساغ أيضا فى العقل فقال ياهذا اختلاف
درجات أصحاب الوحى لم يخرجهم عن الثقة والطمأنينة بمن
اصطفاهم بالوحى وخصهم بالمناجاة واجتباهم للرسالة وهذه
الثقة والطمأنينة مفقودتان فى الناظرين بالعقول المختلفة لانهم
على بعد من الثقة والطمأنينة الا فى الشئ القليل وعوار هذا
الكلام ظاهر وخطل هذا المتكلم بين قال الوزير فما سمع شيأ
من هذا المقدسى قلت بلى قد ألقيت اليه هذا وما أشبهه
بالزيادة والنقصان وبالتقديم والتأخير فى أوقات كثيرة بحضرة
الوراقين بباب الطاق فسكت وما رآنى أهلا للجواب لكن
الحريرى غلام ابن طرارة هيجه يوما فى الوراقين بمثل هذا
الكلام فاندفع فقال الشريعة طب المرضى والفلسفة طب
الاصحاء والانبياء يطبون للمرضى حتى لايتزايد مرضهم وحتى
يزول المرض بالعافية فقط وأما الفلاسفة فانهم يحفظون الصحة
على أصحابها حتى لايعتريهم مرض أصلا فبين مدبر المريض
وبين مدبر الصحيح فرق ظاهر وأمر مكشوف لان غاية تدبير
المريض ان ينتقل به الى الصحة هذا اذا كان الدواء ناجعا

والطبع

والطبع قابلا والطبيب ناصحا وغاية تدبير الصحيح ان يحفظ الصحة
واذا حفظ الصحة فقد أفاده كسب الفضائل وفرغه لها وعرضه
لاقتنائها وصاحب هذا الحال فائز بالسعادة العظمى وقد صار
مستحقا للحياة الالهية والحياة الالهية هى الخلود والديمومة
وان كسب من يبرئ من المرض بطب صاحبه الفضائل أيضا
فليست تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل لان احديهما
تقليدية والاخرى برهانية وهذه مظنونة وهذه مستيقنة وهذه
روحانية وهذه جسمانية وهذه دهرية وهذه زمانية . قال المؤلف
ثم ان أباحيان ذكر تمام المناظرة بينهما فاطال فتركته اذ ليس
ذلك من شرط هذا التأليف والله الموفق للصواب (انتهى)

وقد رأيت فى كتاب جلاء العينين فى محاكمة الاحمدين تأليف
السيد نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسى البغدادى المطبوع
ببولاق فى سنة ١٢٩٨ هجريه كلاما على هذه الرسائل منقولا
من كشف الظنون ومن شرح عقيدة السفارينى وهاهو بالحرف
الواحد : هى أصل مذهب القرامطة وربما نسبوها الى جعفر
الصادق رضى الله تعالى عنه ترويجا وقد صنفت بعد المائة
الثالثة فى دولة بنى بويه املاها أبو سليمان محمد بن نصر البستى
المعروف بالمقدسى وأبو الحسن على بن هرون الزنجانى وأبو
أحمد النهرجورى والعرفى زيد بن رفاعه كلهم حكماء اجتمعوا
وصنفوا هذه الرسائل على طريق الفلسفة الخارجة عن مسلك

الشريعة المطهرة وفى فتاوى الشيخ ابن حجر مانصه نسبها كثير الى جعفر الصادق وهو باطل وانما الصواب ان مؤلفها مسلمة ابن قاسم الاندلسى (١) كان جامعا لعلوم الحكمة من الالهيات والطبيعيات والهندسة والتنجيم وعلوم الكيمياء وغيرها واليه انتهى علم الحكمة بالاندلس وعنه أخذ حكماؤها وتوفى سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة وممن ذكره ابن بشكوال وكتابه فيه أشياء حكمية وفلسفية وشرعية وممن شدد النكير عليه ابن تيمية لكنه يفرط فى كلامه فلا يعتبر بجميع مايقوله اه قال صاحب جلاء العينين فتدبره وأنصف وأقول انى طالعت كثيرا من الرسائل المذكورة فرأيتها كما أشار الشيخ ابن تيمية وانها مشوبة بالتصوف المشوب بفلسفة المتفلسفين والابحاث التى تمجها اسماع المتشرعين ولربما يفوح منها ريح المتشيعين فان أردت كمال الوقوف عليها فارجع اليها وانعم ماقيل

رسائل اخوان الصفاء كثيرة (٢) * ولكن اخوان الصفاء قليل

انتهى كلام صاحب جلاء العينين

وقد صدر الآلوسى كلامه عن هذه الرسائل بانها أصل مذهب القرامطة وأقول ان من اطلع عليها وخصوصا الجزء الرابع منها ونظر فى خطط المقريزى وسفينة الراغب وكشاف

(١) ذلك ليس بصواب وستعلم الحقيقة مما سأورده عليك من النبإ الصادق والقول اليقين (٢) يذكرنى هذا البيت بقول الحماسى

اولئك اخوان الصفاء رزئتهم * وما الكف الا اصبع ثم اصبع

اصطلاحات العلوم ودائرة المعارف وغير ذلك من كتب علماء المشرقيات الذين تكلموا على الاسماعيلية الذين هم القرامطة رأى مايحقق له هذا القول لكن العبارة فى هذه الكتب واضحة صريحة وهى فى اخوان الصفاء دقيقة لايكاد يدركها الا من تنبه اليها أونبه عليها فتلا الرسائل على بصيرة

ومما يدلك على ذلك و يؤكد لك صحة هذا النظر انى رأيت فى الجزء الخامس من جرنال آسيا (Journal Asiatique) الصادر فى يناير سنة ١٨٥٥ المحفوظ بالكتبخانة الخديوية فصلا هذه ترجمة عنوانه (بحث جديد على الاسماعيلية أو الباطنية بالشام المعروفين بالحشاشين (١) وفى علاقاتهم على الخصوص مع ممالك الفرنج بالمشرق) وقد قال صاحب هذا الفصل المفيد فى عرض كلامه مانعربه

«ان سنان بن سليمان الملقب برشيد الدين هو من أجل وأفخم رؤساء الاسماعيلية قد خدم فى ألموت المقدمين الذين كانوا قبله وزاول علوم الفلسفة وأطال نظره فى كتب الجدل والخلاف وأكب على مطالعة رسائل اخوان الصفاء»

(١) وردت هذه الكلمة فى الكتب الاسلامية المعتبرة مثل ابن الأثير وعبر عنها صاحب كتاب الروضتين بالحشيشية واحدها حشيشى ولما أراد الافرنج نقلها الى لغتهم اختاروا اللفظة الأولى فقالوا Assassins (أساسان أو أساسين) ولما شاعت عندهم اختلفوا فى بيان اشتقاقها على أقوال أشهرها انها مأخوذة من كلمة حشيش وهو الاصح لان اللفظ العربى يؤيد هذا الاشتقاق وقد دخلت هذه اللفظة فى لغاتهم أيام الحروب الصليبية ورسمها كتبتهم ومؤلفوهم

فان تخصيص هذه الرسائل بالذكر والنص عليها دون غيرها يدل صراحة على ان هذا الرئيس انما كان يهمه مطالعتها و يهمه مراجعتها لكي يقتبس منها تعاليمه و يستمد منها مايؤيد سلطته في عشيرته وعلى ذلك يكون مؤلفوها ممن نحوا نحو الاسماعيلية

بكيفيات شتى وصور متعددة فذهبوا مدة طويلة الى انها منحوتة من اسم حسن بن الصباح الذى كان أول مقدم عليهم فى بلاد فارس ثم عرفوا خطأ ذلك وان قواعد اللغة العربية لا تساعد على مثل هذا النحت وذهب توماس هيد الى انها مشتقة من فعل حس فانه عربى ومن معانيه القتل ولذلك كانت كلمة Assassins تدل الآن عند الافرنج على القاتلين أى الذين يرتكبون جناية القتل عمدا مع سبق الاصرار ووافقه على ذلك المؤرخ الكبير مارا فى سيرة صلاح الدين وانما دعاهم الى التضارب فى الآراء عدم ابتداء الكلمة الافرنكية بحرف H الذى يقابله الحاء أو الهاء فى العربية ولكنهم لو رجعوا الى كتبهم القديمة التى ألفت فى أيام الحروب الصليبية لرأوها مرسومة هكذا Hassassins ولذلك كان جمهور الباحثين المحققين على ان الكلمة مشتقة من لفظة حشيش لان شيخ الجبل (هذا هو اسم الرئيس الاكبر عندهم ويسمى بالافرنجية Le vieux de la montagne وفيه تسامح) كان يدعو الفداوية الذين يرى فيهم الاستعداد لانفاذ مقاصد عشيرته ثم يأمر بعاطاتهم الحشيشة حتى يفقدوا الحواس ويريهم حينئذ نعيم الجنة فى جنان أعدت لذلك ثم يأمر باعادتهم ومتى زال تأثير الحشيشة كان الواحد منهم يعتقد انه ذاق لذة النعيم فعلا وشاهد الفردوس الموعود به عيانا فينقاد حينئذ الى رئيسه انقياد الاعمى ويسعى فى تنفيذ جميع أوامره رغبة فى الرجوع إلى النعيم المقيم فلا بدع اذا لقبوا بالحشاشين وأفسدها الصليبيون فجعلوها حساسين ثم أساسين (Assassins) فان السين والشين يكثر تواردهما فى النقل من اللغات الى بعضها بل فى اللغة الواحدة ولا يعتد بقول من ذهب من الافرنج الى ان لفظة أساسين عندهم محرفة عن عساسين جمع عساس بمعنى حارس وانهم انما سموا بذلك من ادعائهم بحراسة البلاد من السرقات

وذهبوا مذهبهم وقالوا بمقالاتهم وقد ذكر صاحب كشف الظنون (بعد ان أورد أسماءهم التى مرت عليك فى رسالة التوحيدى) أنهم كلهم حكماء اجتمعوا وصنفوا احدى وخمسين رسالة ولم يزد على هذا وقد اعملت الجهد الجهيد فى تطلب ترجمتهم ومعرفة أخبارهم وشؤونهم والوقوف على سيرتهم ونظرت كثيرا فى كتب التواريخ والطبقات فلم يسعفنى القدر ببلوغ الوطر ولكنى أقول ان إطناب أبى حيان فى مدح زيد بن رفاعة كما رأيته فيما تقدم يدلك دلالة ضمنية على فائق فضلهم وواسع اطلاعهم وقد ساعدتنى المقادير أثناء البحث الطويل والمراجعة المتوالية فرأيت صاحب كشف الظنون يقول ان لابى الحسن العوفى وهو من أصحاب اخوان الصفا رسالة فى (أقسام الموجودات وتفسيرها) قال وهى لطيفة ذكرها الشهرزورى فى تاريخ الحكماء

وعلى ذكر مؤلفى هذه الرسائل نسوق الحديث الى نبأ غريب وموضوع تحار فيه الالباب

وذلك ان هذا الكتاب قدتم طبعه كله ببلاد الهند فى هذه الايام ولكن يالله جب وياللغرابة فقد ورد فيه اسم مؤلفه ....

فهل يتصور القارئ صحة ذلك مع علمه باشتغال العلماء بلا طائل من زمان طويل للوقوف على معرفة واضعى هذه الرسائل وليس بغريب أن يستولى الذهول على قارئ هذه السطور

أومن يطلع على الكتاب المذكور فقد قيل فى آخره ان المؤلف هو رجل يدعى أحمد بن عبد الله (ولا أرى أن هذا الاسم الا مرادفا لهيّ بن بيّ) والاغرب من هذا وذاك قوله بأن الرجل مترجم فى كتاب اسمه عيون الاخبار لمن يدعى ادريس عماد الدين مع أن هذا الكتاب أثر لا عين وليس له مسمى فى الوجود فانى لما رأيت ذلك أخذ العجب منى مأخذه فشرعت أتحرى الامر لأكون على بينة وبصيرة من هذا المشكل الذى ليس له فى بابه مثيل وقد تحققت بأن هذه العبارات انما هى تلفيق ومحض اختلاق وذلك لانى كابدت مشقة عظيمة فى البحث عن أمر هذا الكتاب المزعوم والرجل الموهوم وكل مايتعلق به مما هو مدوّن زورا و بهتانا بآخر تلك الطبعة ولما لم أعثر على شئ وداخلتنى الريبة واختلفت عندى الظنون كاشفت بهذا الامر أحد العارفين فقال لى ان الحقيقة على خلاف ماورد بهذه الطبعة وان أصحاب المطبعة انما اضطروا لاختلاق مثل هذه الاكاذيب التى ماأنزل الله بها من سلطان ليحتكروا طبع الكتاب وبيعه فى بلاد الهند فان القوانين هناك تحفظ للمؤلفين ولورثتهم من بعدهم حقوق الطبع كما هو الشأن فى بلاد اوروبا فلما شرع أصحاب هذه المطبعة فى نشر الرسائل التى نحن بصدد الكلام عليها أرادوا أن يختصوا بربحها دون سواهم ويقفلوا باب المزاحمة على من عداهم فجاؤا برجل

وقالوا

وقالوا انه من ذرية المؤلف وأخذوا منه رخصة تخولهم وحدهم طبع الكتاب ونقدوه فى نظير ذلك ماطابت به نفسه وبهذا انتفع الرجل وانتفع أصحاب المطبعة بنوال الاحتكار فهذا هو السبب فى التلبيس والتدليس

وأما الطبعة التى أخذت فيها مطبعة الاداب فى العام الماضى ولم يفرغ منها الى اليوم سوى جزء واحد مع طول انتظار الناس لباقى الاجزاء يوما فيوما فهى خالية من التمويهات فى من ألف ومن خلف كما جاء فى طبعة الهند وغاية مايقال فيها ان حضرة محرر الآداب نقل فى المقدمة (١) التى كتبها فى صدر هذا الكتاب عبارة قال انها للوزير القفطى ومن مقتضاها ان رسائل اخوان الصفاء من تأليف المجريطى وأقول ان هذا مناف للحقيقة مخالف للصواب لان القفطى لم يشر الى مثل هذا فضلا عن النص عليه فى كتاب (تراجم الحكماء) وهو بالكتبخانة الخديوية لمن يريد من الباحثين والمحققين الذين يعنيهم هذا

(١) وقد لخص فيها رسالة التوحيدى ولم يشر الى انه نقلها من مصدرها الذى هو تراجم الحكماء بل نقل عبارة هذا الكتاب كما نقل على بك بهجى فى روضة سنة ١٢٩٤ وهى «ولم أزل شديد البحث والتطلب لذكر مصنفها حتى وقفت على كلام لابى حيان الخ» اذ لا يقدر ان يقول انه عثر على كلام التوحيدى الا فى تراجم الحكماء أو فى روضة المدارس التى نقلت منه ولا يقدر ان يقول انها موجودة فى كتاب مختصر الدول لابن حكيم الذى قال عنه انه أورد جواب ابى حيان بالايجاز فان هذا الكتاب غير متيسر الآن

الامر ثم ان هذه الرسائل ليست للمجريطى كما ستراه بعيد هـذا نعم ان حضرة الشيخ قال فى آخر جملته وقـد علمت أن رسائل اخوان الصفا التى ألفها المجريطى هى غير هذه . وذلك عقيب قوله « وبعـد ان شاع اسم (١) هـــذه الرسائل بالاندلس وتطلعت لها علماء الغرب ألف أبو محمد مسلمة المجريطى القرطبى رسائل على مثالها وكتم اسمه فيها الخ » وهو قول نطالبه عليه بالدليل ولا نأخـذه منه قضـية مسلمة فان مثل هـذا مما يهم المؤرخين نقله والمؤرخون لما ذكروا أن تلميذ المجريطى هو أول من أدخل الرسائل الى الاندلس ما تكلموا فى شئ من هذا القبيل وما أشاروا الى هذا المعنى أصلا مع أن عبارتهم تدل على عنايتهم بأمر هذا الكتاب

وقد قال محرر الآداب فى مقـدمته أيضا مانصـه «وفى كتاب المقابسات أن زيد بن رفاعة وجماعة من كبار فلاسفة الاسلام كانوا يجتـمعون فى منزل أبى سليمان النهرجورى وكان شيخهم وان لم يحز شهرتهم وكانوا اذا اجتمع معهم أجنبى التزموا الكنايات والرموز والاشارات قال ولعل كيفية اجتماعاتهم هـذه هى التى أرابت صمصام الدولة حتى أوجس من زيد بن رفاعة وهو شيخه خيفة » انتهى وهو قول يؤيد أنهم من الاسماعيلية

واعلم انى قد راجعت ترجمة الحكيم أبى القاسم مَسْلَمة بن أحمد

(١) الا ان شيوع الاسم لا يدل على شيوع المسمى فتنبه

ابن عمر بن وضاع المرحيطى المعروف بالمجريطى فى كثير من الكتب والتواريخ فما رأيت شيأ يدل على أنه وضع رسائل اخوان الصفا أو كتابا على نمطها فقد ذكره جم غفير من العلماء ولم يقل أحد فى سيرته قولا ينطبق على هذا الرأى وأقوى دليل أورده مكتفيا به عما سواه ان أبا الحكم الكرمانى هو أول من جلب الى الاندلس الرسائل المعروفة باخوان الصفا كما علمت ذلك مما سبق بيانه فى أول هذا الفصل والظاهر أن الذى أوهم بعض القوم أن هذه الرسائل للمجريطى قوله فى كتابه الذى سماه رتبة الحكيم فى علم الكيمياء « وقد قدمنا من التآليف فى العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية رسائل استوعبناها فيها استيعابا لم يتقدمنا فيها أحد من أهل عصرنا ألبتة وقد شاعت هذه الرسائل فيهم وظهرت اليهم فتنافسوا فى النظر اليها وحضوا أهل زمانهم عليها ولا يعلم من ألف ولا أين ألف غير الحذاق منهم لما دأبوا على مطالعتها لاستحسانهم اياها واستعذابهم لالفاظها علموا أنها من تأليف زمانهم وعصرهم الذى هم فيه ولا يعلمون من ألفها وكل ذلك من تلك التآليف مبسوط المرسوم » انتهى

فالظاهر أنهم لما اطلعوا عليه قالوا ان الرسائل التى يذكرها انما هى المعروفة برسائل اخوان الصفاء وهو وَهَم فانه يقول انه استوعب فيها العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية استيعابا لم

يتقدمه فيه أحد من أهل عصره وليست رسائل اخوان الصفاء كذلك كما علمت وتعلم ان شاء الله وأيضا فقوله ان هذه الرسائل شاعت بين أهل عصره وظهرت اليهم فتنافسوا فيها وحضوا أهل زمانهم عليها وان الحذاق دأبوا على مطالعتها وعلموا أنها من تأليف زمانهم يؤيد ما قلناه من وهم القوم فانه يقال اذا كانت هذه الرسائل التى يقول بشيوعها بين أهل عصره هى رسائل اخوان الصفاء وقدكان الرجل اندلسيا فأى معنى بعد لقول المؤرخين بأن الكرمانى أول من أدخل رسائل اخوان الصفا الى بلاد الاندلس حاملا لها من المشرق الا أن يقال ان هذا الشيوع كان بالمشرق ودونه خرط القتاد

وقد قال المجريطى أيضا وكل ذلك من ثلاث التآليف مبسوط المرسوم كأنه أراد أن يؤكد ماقاله قبيل هذا من أنه استوعب فى هذه الرسائل العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية استيعابا لم يتقدمه فيه أحد مع أن ذلك مخالف لما نراه فى الكتاب المعروف برسائل اخوان الصفاء المتداول بيننا الآن وذلك لان من أجال جواد الناظر فى هذه الرسائل وجدها يصدق عليها ماقاله القفطى من أنها مشوقات غير مستقصاة وكأنها للتنبيه والايماء وينطبق عليها ماقاله أبو حيان التوحيدى من أنها مبثوثة من كل فن بلا اشباع ولا كفاية وتأكد من موافقتها لما قصده أصحابها اذ قالوا فى موضع

«واعلم ياأخى أيدك الله انما نذكر فى كل علم شبه المقدمة والمدخل الى مافيه ليكون تحريضا لاخواننا على التميز فيه والشوق اليه لأن بالشوق الى شئ يكون الحرص على الاطلاع عليه»

وقالوا فى موضع آخر

« اعلم ياأخى انما نورد من العلوم فى كتبنا ورسائلنا مايكون تذكية للعقول وتنبيها للنفوس فأخذنا من كل علم بقدر مااتسع له الامكان وأوجبه الزمان وقد اجتهدنا أن يكون ذلك من أحسن ماقدرنا عليه ووصلنا اليه ولذلك وضعناه وأبنّاه وأوردناه لاخواننا أيدهم الله واياناً ورضينا لهم مارضينا لانفسنا اذ كنا كلنا روحا واحدة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكمل للؤمن ايمانه حتى يرضى لاخيه مايرضاه لنفسه وقال الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الخ »

فهذه الاقوال كلها تناقض ماصرح به المجريطى مناقضة كلية وحينئذ لايصح القول بان الكتاب الذى يشير اليه هو رسائل اخوان الصفاء الذى بين أيدينا الآن وغاية ماأراه فى هذا الشأن أن لهذا الحكيم كتابا آخر أوكتبا متعددة لم يضع اسمه عليها فلما رأى الناس عبارته فى رتبة الحكيم وكانوا يعثون على مؤلف رسائل اخوان الصفاء بغير جدوى ظنوا أنهم أدركوا الطلبة

وأصابوا الغرض فنسبوا له هذه الرسائل من غير ماتمعن ولا تدبر

وهنا نذكر أمرا آخر لا يخلو من الغرابة وهو أن المجريطى لم يذكر فى عبارته التى أوردتها قبيل هذا أسماء الكتب التى أطنب فى مدحها والتنبيه عليها فليت شعرى ماهو الباعث الذى دعاه فى أول الامر الى كتم اسمه عن مصنفات جليلة تاقت اليها نفوس أهل عصره وشغفوا بمطالعتها ثم ماهو الداعى الذى جعله يصرح أخيرا فى كتابه (رتبة الحكيم) بأنه هو الذى صنف تلك الكتب

ولعل هذا التصريح من المجريطى هو الذى حمل صاحب كشف الظنون على القول بوجود كتاب آخر اسمه رسائل اخوان الصفاء لهذا الحكيم وانه صنفه على مثال الرسائل المعروفة المشهورة بهذا الاسم واذا اعتبرنا هذا القول بميزان البحث والاعتبار وصلنا الى ملحوظة لطيفة وذلك أن هذا الحكيم توفى سنة ٣٩٥ كما قاله حاجى خليفة ولاشك أن هذه الرسائل كانت موجودة فى سنة ٣٧٣ كما يتضح من كلام أبى حيان ومن ذلك يستنبط ان أصحاب الرسائل الشرقية المتداولة الآن كانوا معاصرين للمجريطى وان وقت تأليف رسائلهم يقارب الوقت الذى ألف فيه هو رسائله على هذا النمط (لان صاحب الكشف قال ان رسائله غير رسائل اخوان الصفاء وانها على نمطها) ولعل المجريطى صنف رسائل ولم يضع لها اسما كما كتم اسمه فيها وهذا كان سببا لتسمية

بعضهم

بعضهم لها حين رآها برسائل اخوان الصفاء تشبيها لها برسائل المشرق لان الاتفاق فى التسمية أيضا فوق الاتفاق فى النمط وكتم الاسم من الامور المستبعدة بل المتعذرة

وهنا ترى فضل صاحب الكشف واضحا فانه لم يخلط بين الكتابين ولم ينسب كتاب المشرق الى المجريطى كما فعل كثير من العلماء بل قال بوجود كتاب آخر بهذا الاسم وأورد كلمتين من خطبته فلا بد أن يكون اطلع على الكتاب ولكن اذا كان هذا الكتاب موجودا حقيقة فكيف لم ينبه عليه القاضى صاعد لما ذكر أن الكرمانى هو أول من أدخل رسائل اخوان الصفاء الى الاندلس وانه لايعلم أحدا أدخلها فيه قبله فان هذا الكلام يدل كما قدمنا على عناية كبيرة بشأن الكتاب واذا كان ذلك كذلك وكان المجريطى مؤلفا لكتاب بهذا الاسم وهذا النمط كما يقول صاحب الكشف فلا بد أنه كان ينبه عليه ويقول ذلك لاسيما وأن صاحب طبقات الاطباء ترجم المجريطى قبل ايراد هذه العبارة بصحيفة وبضعة أسطر خصصهما لذكر سيرة ثلاثة من تلامذة المجريطى وعقبهم بترجمة تلميذه الكرمانى وأورد فيها العبارة المذكورة

ومهما يكن فقد ثبت أن الرسائل المتداولة الآن ليست للمجريطى وانه لايصح أن يقال بأن له كتابا بهذا الاسم بل انه اذا ثبت وجود كتاب له بهذا الاسم فيكون الاسم موضوعا عرضا لامن المؤلف والله أعلم

وقبل ان أختم المقال فى هذا المجال أنبه القارئ النبيه الى رسالة فى هذا الكتاب رجاء مطالعتها واقتطاف ثمراتها وتلك هى الرسالة الواحدة والعشرون من الكتاب أو الثامنة من القسم الثانى من الطبيعيات المعروفة برسالة الحيوانات (وقد طبعها العلامة دبتريصى باوروبا على حدتها) فقد احتوت على ضروب المرافعة والمدافعة والمنازعة بين الحيوان والانسان وذلك على شكل عجيب ومنوال غريب فزعموا أن جميع الحيوانات اتحدت كلمتها على اقامة الدعوى على الانسان ومطالبته بالرفق بها والعدول عن ظلمها الى العدل فيها وأن كل فريق من الحيوانات أخذ يرتقى منبر الخطابة و يتفنن فى بيان اعتساف الانسان و يناضل عن حقوقه بثبات جنان وقوة برهان يخجل أمامهما قس وسحبان فيقوم كل فريق من بنى آدم ويدحض حجة الحيوانات ويعلم أعضاء المحكمة بشرفه على سائر المخلوقات ويدوم الحال هكذا بين أخذ وردّ ودفاع ونزاع و جدال وخصام وهم لم يخرجوا عن قوانين المناظرة ولم يدخلوا فى طريق المكابرة بل كلٌّ يورد من الشواهد القواطع والحجج الدوامغ مايؤيد قوله ويزكى فعله ويجعل الحق فى جانبه والباطل من طريق صاحبه الى أن تحكم المحكمة باقفال باب المرافعة وأنها ستنظر فى حسم هذه الواقعة وهنالك تنتهى الرسالة بعد أن ينص فيها على أن الحكم هو المقصود من وضع الكتاب وانه ينبغى على الطلاب أن يدرسوا جميع الفصول والابواب لينكشف لهم الحجاب وتجلى أمامهم الجواب ويفوزوا بحسن العقبى وخير المآب والله أعلم

هذا ما كتبه حضرة الفاضل الكامل محمود أفندي أنيس ملتزم طبع الرسالة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى وسع علمه كل الاشياء والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الاصفياء *(وبعد)* فان خير عمل يشتغل به العاقل أعوده على قومه بالنفع وخير منه ماجمع مع هذا الابانة عما بلغه غابرهم من مزايا الفضل وان هذه الرسالة التى أبرزتها فطرة زكية وفكرة ذكية هى خير العملين فقد أودعها مؤلفها الفاضل من الحقائق الثابتة ماينجلى به مابلغه علماء الاسلام السابقون من القدم الراسخ والكعب العالى والباع الطائل فى أنواع العلوم وأصناف الفنون وما كانوا يبذلونه من الهمم ويجردونه من العزائم فى الوصول الى تذليل صعابها وامتلاك رقابها وافتتاح أبوابها وما دونوه وسطروه وحرروه وحبروه من كتب جمعت المعارف الجمة والمواضيع العديدة المهمة فهم ماتركوا جوّا الا طاروا فيه وحلقوا ولاطريقا الا وخدوا فيه وأعنقوا ۞ هذا كان أمر الشرق فى اشراقه بالحضارة والمعارف حين كان الغرب من التوحش والجهالة فى ظلمات بعضها فوق بعض لاينفذ اليه من نور التمدن والمعرفة شعاع فالاطلاع

على هذه الرسالة الجليلة ينبه الى فضل ذلك السبق وبُعد تلك الهمم وسمو تلك المدارك فيحرك النفوس الشريفة الى المضىّ على هذه الآثار والجرى على هذا السنن وقد التمست من مؤلفها الحازم النبيل المعروف بالبراعة فى التأليف والتصنيف والترصيف ألا وهو حضرة الامجد الابرع أحمد افندى زكى مترجم مجلس النظار ومترجم شرف الجمعية الجغرافية الخديوية أن يسمح لى بطبعها لينتفع بها الشرقيون فما كان أسرع ما أجاب فشكرت جميله وان كان هو ما ألفها الا راميا الى هذا الغرض من نشرها وتعميم الانتفاع بها ولكنه حفظه الله أحب أن يكون لى اسم فى عداد العاملين على خير قومهم فجزاه الله أحسن الجزاء والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

محمود أنيس

٨ ربيع الاول سنة ١٣٠٨

(يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة البهية ببولاق مصر المعزية الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى أعانه الله على أداء واجبه الكفائى والعينى)

نحمدك يامن فضلت العلماء ونشرت لهم على هام الثقلين أرفع لواء بذلوا نفوسهم ونفيسهم فى خدمة العلم وتصنيفه وأسهروا أعينهم فى تدوينه وتأليفه ورتبوا قواعده وشيدوا قصوره وقربوا امتباعده فهم أشرف الناس شغلا وأرفعهم مقدارا وأبرهم عملا وأنفعهم فعلا ونصلى ونسلم على نبيك الاكرم ورسولك السيد السند الاعظم سيدنا محمد الذى حض على تعلم العلم وتعليمه وحفظه وتدوينه وتفهيمه القائل وهو أصدق الناس وأحقهم فاعلا ومتكلما الدنيا ملعونة ملعون مافيها الاذكر الله تعالى وما والاه وعالما أومتعلما وعلى آله وصحبه القائمين من بعده بحفظ سنته الناصرين لدينه وملته (أمابعد) فلما كان العلم أشرف الاعمال وبخدمته الفوز بالحظ الاوفر فى الحال والماآل أكب من وفقهم الله تعالى واختارهم من خليقته واصطفاهم من بريته على الاشتغال به وتحصيله وتدوين جمله وتفصيله على كثرة أنواعه وفنونه وعدم النهاية لاصوله وفروعه ظاهره ومكنونه حتى كثرت الكتب والفنون وخرجت عن نهاية الحد وأبت وجلت واستحال أن تحصر أوتعد وتعلقت همم بعض من شغفوا بالاشتغال بالعلم أن يجمعوا ماأحاط به علمهم من أسماء الفنون ووصلت اليه يدهم من الكتب بين شراح وحواش ومتون وأن يدونوا ذلك

فى كتاب ليكون تذكرة لأولى الالباب ويذكروا مع ذلك ما عثروا عليه من تراجم مؤلفيها وبعض موضوعات الكتب وأوائلها ومزاياها ظواهرها وخوافيها ولعمرى انه الفكرة مستحسنة واختراعة بديعة متقنة تنفع طلاب العلم النفع الجليل ويحصلوا بها ما عسر بدونها تحصيله ويوصلهم الى ما يعزاليه التوصيل وهى من قديم الاختراعات التى سلك سننها بعض الاعجميين ونحا نحوها بعض العلماء الاسلاميين والعربيين كالشيخ الاجل صاحب كشف الظنون فى أسماء الكتب والفنون وممن سلك هذا النهج الحسن ودرج من واضح سبله على أبهج سنن الجهبذ الفطن النجيب والنبيه النبيل الاريب نادرة هذا الزمان وبهجة هذا الآن دقيق الفكر واسع الانظار حضرة أحمد أفندى زكى مترجم مجلس النظار فانه صنف هذه الفكاهة الشهية وصاغ هذه الشذرة الذهبية وجعل عنوانها (موسوعات العلوم العربية) فلله ما أدق فكره وأبدع مبتكره فانه جمع فى هذه الرسالة رقة اللفظ الى دقة المعنى وحسن الوضع الى متانة المبنى وتوخى فيها الاقتصار على ذكر الكتب الجامعة لجميع العلوم اظهارا لفضل علماء الاسلام على أكمل وجه وأجل مرام ولما كانت فريدة فى بابها متبرجة فى حليها وجلبابها انتدب الى طبعها رغبة فى عموم نفعها الجناب المجيد ذو الطالع السعيد الذكى الالمعى الرئيس حضرة محمود أفندى أنيس بالمطبعة العامرة ببولاق مصر القاهرة فانتهى طبعها بحمد الله على أبهج أسلوب وأكمل مرغوب * فى ظل الحضرة

الفخيمة

الفخيمة المهيبة الخديوية وعهد الطلعة الكريمة المعظمة
التوفيقية أدام الله أيامها ووالى على الرعية انعامها وحفظ لنا
حضرات الانجال الكرام مدى الليالى والايام ملحوظا هذا الطبع
اللطيف والوضع الظريف بنظر من عليه أخلاقه تثنى حضرة
وكيل الاشغال الادبية محمد بيك حسنى فى أوائل آخر
الربيعين سنة ١٣٠٨ من هجرة سيد
الثقلين صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه مالاح بدر تمام
وفاح مسك
ختام
تم

(فهرسة الرسالة)

صحيفه

(الفاتحة)

(تصحيح بعض هفوات)

صحيفة	سطر	خطـــا	صـواب
٢٢	١١	أبوالخير	أبى الخير
٢٩	٩	أبوالوفاء	أبى الوفاء
٤٠	٦	مستناضة	مستفيضة
٤٠	١٨	اذا	اذ
٤٤	٢٠	أبي	أبا
٤٩	٩	ثمان	ثمانية
٥٤	١٠	عشرة	عشر
٥٤	١١	خمسة	خمس
٥٥	٢٢	تحده	تحك
٥٩	١١	سبع	سبعة